

علاء محسنين صبا المحي عظامو

الطاهر

حياته شعره لاميته

دراسة وتحليل

الدكتور علي جواد الطاهر

مكتبة النهضة - بغداد

علاء محمد حسن علي عزامي

●
مطبعة دار التضامن
بغداد
١٩٦٣
●

الطفرائي
حياته • شعره • لاميته

● الطبعة الاولى - بغداد ١٩٦٣

● حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

● مطبعة دار التضامن - بغداد

على جواد الطاهر

الطغرائي

حياته - شعره - لاميته
(بحث وتحقيق وتحليل)

منشورات - مكتبة النهضة - بغداد

مقدمة

كان نظام دار المعلمين العالية (كلية التربية - اليوم) يقتضي أن يكتب الطالب في السنة الرابعة رسالتين : واحدة في التربية وواحدة في الاختصاص . وما ان انتهت السنة الثالثة (عام ١٩٤٤) حتى بدأنا نبحت جديا عن عنوانين ، وكان موضوع التربية سهلا ولم يحدث في اختياره نقاش : « مسكويه » .

أما الموضوع الادبي فقد طال فيه الاخذ والرد والاستشارة والمراجعة ، ولم يقبل استاذنا المشرف ، الدكتور محمد مهدي البصير : العباس بن الاحنف ، ولا الرثاء في الشعر العربي ولا الفلسفة الشعرية ، لاكثر من سبب وجيه ذكر في حينه .

وكننت أتردد على المكتبة العامة أقرأ دواوين الشعراء كلهم ، حسب تسلسلها في الفهرست ، دون تمييز ، لان الغرض الاول من تلك القراءة كان الالمام العملي بشعراء العربية . وقرأت - فيما قرأت - ديوان الطغرائي .

وخففت الى استاذي أعرض عليه الرأي ، فوافق . وهكذا بدأت سلسلة

غير منقطعة من ملازمة الطغرائي : ديوانه ، حياته في المراجع ، دائرة المعارف
الاسلامية .. في المصادر ، ياقوت ، ابن خلكان .. وكلما ازدادت قراءة ، ازدادت
يقينا بصلاح الرجل موضوعا للدراسة ، وبأنه مظلوم بين الشعراء ، وبأنه يحقق
غاية من يريد أن يتعد عن دراسة المدروس ويسعى الى أن يتجنب التكرار .

وبدأت أجمع .. وأكتب .. وحصل من ذلك دفتران غير صغيرين
ولقيت استاذي .. أقرأ عليه ، وبدأت ، وقد اقتنع بنجاح البحث منذ الفصل
الاول ، وقال : أمل أن يكون الطغرائي موضوعك للدكتوراه .

ثم تهيأت البعثة العلمية ، ومكنت في القاهرة حينما أفدت خلاله من مكتبة
كلية الآداب ودار الكتب المصرية امورا تتصل بالسلاجقة وبالطغرائي
وبمعاصري الطغرائي .

ثم كانت باريس ، وعرضت فكرة دراسة الطغرائي موضوعا للرسالة
الرئيسية من رسالتي الدكتوراه فأقرها أحد الاساتذة ، واستصغرها المسيو بلاشير ،
وكان للاستاذ بلاشير ما أراد . وأصبح الموضوع : « الشعر العربي في العراق
وبلاد العجم في العصر السلجوقي ٤٤٧-٥٤٧ » وكانت حصة الطغرائي من
الكتاب حصة الاسد .

وانتهت المرحلة العلمية بسلام عام ١٩٥٤ . وعدنا الى الوطن ، ولم أفارق
الطغرائي ، فلقد بدأت أدرس الشعر العراقي في العصر السلجوقي
والعصور المتأخرة .

ونشرت عن الطغرائي ومعاصريه هنا وهناك من مجلات بغداد ، كما نقلت
الى العربية رسالة « الشعر العربي » وطبعت في جزئين .
ثم تأملت في شعر الطغرائي وحده ، فهداني التأمل الى آراء ودلني على
مزايا ونهني الى شواهد ، واجتمع لدي ما دعا الى تخصيص دراسة مستقلة ،
ففعلت ونشرت البحث في العدد الاول من مجلة كلية الآداب (بغداد ١٩٥٩
ص ٢١٢-٢٤٣) .

ولم تستوف « لامية الطغرائي » نصيبا يذكر من هذه الدراسات ، وكان الاستاد شارل بللا أحد المناقشين الذين نبهوا الى ضرورة عقد بحث خاص على اللامية . حتى اذا درستها ودرستها اطلعت على جوانب مجهولة منها ووقفت على أسرار من جمالها ، واتسع الوقت للتوفر على هذا البحث .

وفي عام ١٩٦٢ كتبت في مجلة كلية الآداب بحثا مسهبا عنها ، ثم نشر منفصلا مستلا ، فلقني قبولاً حسناً .

وفي العام نفسه ألفت بين أجزاء « مقالات » وشرعت في طبعه ، وقد ضم - فيما ضم - أشياء عن الطغرائي ومعاصريه .

وكانت تعاودني فكرة تنقيح ما كتبت عن الطغرائي هنا وهناك وتوجيهه في كتاب خاص - والشاعر جدير بمثل هذا الكتاب - لان البحوث عنه تناثرت ومنها ما لم يعد في متناول اليد ومنها ما نفدت نسخته أو كادت .

حتى اذا كنت يوما في مكتبة النهضة وفاتحني صاحبها السيد عبدالرحمن حياوي في إعادة طبع « لامية الطغرائي » ، تطور الحديث واتسع الموضوع حتى كان هذا الكتاب الذي يراه القارىء : الطغرائي : حياته ، شعره ، لاميته .

كلمة في العصر

في عام ٤٤٧ هـ دخل طغرل بك السلجوقي بغداد ، وقضى بذلك على البويهيين ، ودخلت في ملكه رقعة واسعة قوامها العراق وبلاد العجم • وتوفي عام ٤٥٥ فتولى بعده السلطنة من آل سلجوق :

٤٦٥ - ٤٥٥	ألب أرسلان
٤٨٥ - ٤٦٥	ملكشاه
٤٨٧ - ٤٨٥	محمود بن ملكشاه
٤٩٨ - ٤٨٧	بركياروق
٥١١ - ٤٩٨	محمد
٥٥١ - ٥٢٥ ...	محمود

ولم يتخذ السلاجقة بغداد عاصمة لهم ، وان أقام أكثرهم فيها مددا محدودة ، ويمكن القول ان مقرهم كان في أصفهان • وكانت الوزارة منصبا مرموقا في الدولة ، وقد يمسك الوزير ، اذا كان كبيرا ، كنظام الملك ، بمهام الدولة كلها •

وتلي الوزارة الدواوين : الاستيفاء ، الاشراف ، الانشاء والطغراء • • والطغرائي هو صاحب الطغراء - وهي « الطرة التي تكتب في أعلى المناشير فوق البسملة بالقلم الغليظ ، ومضمونها نعوت الملك الذي صدر الكتاب عنه ، ^(١) » •

(١) ابن خلكان ١ : ٢٨٤ ، ياقوت ١٠ : ٥٧ ، دائرة المعارف الاسلامية ، مادة طغراء • « واللفظة أعجمية محرفة من الطرة » وفي ابن جماعة انها علامة تكتب على التوقيعات •

ويضم ديوان الطغراء : الرسائل والانشاء ويتولى صاحبه شؤون الوزارة
في الصيد •

عاصر هؤلاء السلاجقة من خلفاء بني العباس :

القائم	٤٤٢ - ٤٦٧
المقتدي	٤٦٧ - ٤٨٧
المستظهر	٤٨٧ - ٥١٢
المسترشد	٥١٢ - ٥٢٩ ...

وبغداد هي مقر الخلافة ، وسلطة الخليفة دينية حسب ، والسلاطين يرعونه
ويتظاهرون بحترامه ، ولكنهم لا يتورعون عن مخالفة أمره أو اهاتته اذا اقتضت
مصلحتهم • فلم يكن للخليفة الا الاسم « لا يتعدى حكمه بابيه ولا يتجاوز
جنابه » • وربما حانت للخليفة فرصة أو كان له حظ من الطماح فتملأ كما
حدث للمستظهر يوما ما ، أو كما أعلنها المسترشد حربا على السلطان •

وتألف حاشية الخليفة من الوزير وكاتب الانشاء وصاحب المخزن وكاتب
المخزن واستاذ الدار •

وكان الى جوار حكومة السلطان وحكومة الخليفة امارات ذات بال في تاريخ
العصر ، أهمها في العراق : امارة بني مزيد في النيل والحلة ، وامارة بني أبي
الجبر في الباطح •

وطبيعي أن يتمتع ذوو السلطة بامتيازات واسعة وبرفاه ومال • وكان
الشعراء يكسبون قوتهم أو ما يزيد عن قوتهم عن طريق المديح وما اليه ، وكثيرا
ما يكلفهم ذلك اراقة ماء وجوههم دون أن يشعروا ، وقد يشعرون فلا يملكون
غير الشكوى •

أما العامة فهم مادة الجيش وهم الفقراء المعرضون لشتى صنوف الازى ،
وكانت كلمة « عامي » و« سوقي » سبة • الا أن العصر لم يحل كثيرا بين الطامحين

وما راموا من مناصب مرموقة كالوزارة وما اليها • وربما تجمع عدد من هؤلاء العامة بشكل وبآخر ليثأروا لانفسهم أو ليشروا بآراء في اصلاح شأنهم وشأن أمثالهم ، فكان من مظاهر هذه الحالة : العيارون ، الفتوة ، الباطنية •

وكانت سلسلة من النزاع تقع بين مختلف الفرق الاسلامية : الحنفية ، الشافعية ، الحنبلية •• الشيعة •

واذا كان العصر عصر اضطراب في السياسة والاقتصاد والادارة ، فانه لم يكن كذلك في شؤون المعرفة (داخل الفئة التي عرفت بها وجدت في سبلها) فقد كان عصر نضج هو امتداد لنضج العصر البويهي ، وكان له آثاره وأعلامه في الفقه والتفسير والحديث والفلسفة واللغة والتاريخ والعلوم المنقولة ، منهم - على سبيل المثال : أبو اسحاق الشيرازي ، الجويني ، الزمخشري ، الغزالي ، الحريري ، معتمد الملك بن صاعد بن التلميذ •

وفي هذا العصر تأسست المدارس النظامية ، ومدرسة بغداد النظامية •

وكان للادب مكاتبه من العصر ، وكثر الشعراء كثرة مدهشة ، وزاول الشعر خلق كثير بما فيهم الخلفاء والوزراء ، والذين غلب عليهم كثيرون كذلك ، نذكر من أشهرهم من أعلام العصر السلجوقي : صرّدر ، الباخري ، ابن الشبل ، الايوودي ، ابن الهبارية ، الغزي ، البار ، ابن أفلع ، ابن الفضل ابن القطان ، الحظيري ، حيص بيص (١) •

(١) للتوسع في هذه المقدمة ينظر « الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي » •

حياة الطغرائي

مصادر الدراسة

(١) ديوان الطغرائي المطبوع ومما فيه : عائلته ص ٥٩ ، ١٠٦-١٠٧ ، ١١٧ ، زوجته ٨٠-٨٥ ، صلاته بساسة عصره ص ٣-٥٨ ، ٨٩ ، ١٨٢ ، ١٤١ ، صلاته بالعلماء والادباء ٨٦ ، ١٣٣-١٣٦ ، ١٤١ ، عزلته ٦٢ ، ٧٩ ، مدح الابیوردي اياه ٨٦ ، خلفه ٧١ ، ٧٨ .

ولا يغني المطبوع عن مراجعة المخطوطات . وفي مؤلفات الطغرائي الاخرى ما لا يخلو من فائدة .

(٢) ديوان الغزي (أبو اسحاق ابراهيم بن عثمان . . . المتوفى عام ٥٢٤) : مخ . بريس ٥٥-٥٧ (= ديوان الابیوردي المطبوع ص ٤٨-٥٠) ، ١٠٢-١٠٤ (= ٧٢-٧٤) : يمدحه ويتكلم قليلا على عائلته وأخلاقه وعلمه .

(٣) السمعاني (أبو سعيد تاج الاسلام عبدالكريم بن محمد . . المتوفى عام ٥٦٢) :

(أ) الانساب ، مادة المنشئ ، و ٥٤٣ أ : نسبه ، اطراء (ويظهر أن كلامه كان في الاصل أطول) ، يراجع زيدان ٣ : ٦٤ وابن خلكان ١ : ٢٨٤ .

(ب) مذيّل تاريخ بغداد ، في مخطوطة مختصرة بليدن ، و ٤٣-٤٤ : أصبهان ، معارفه ، تفوقه في الشعر والنثر ، جلاله ، استشهاده عام ٥١٨ ، مختارات

من شعره ، من مصادره كتاب سر السرور .

- (٤) الحظيري (سعد بن علي .٠٠ المتوفى عام ٥٦٨) ، زينة الدهر بنص ابن خلكان ١ : ٢٨٧ (يقارن عاطف) .
× - ولم يتكلم عليه ابن الجوزي .
(٥) العماد (محمد بن محمد بن حامد ، ولد عام ٥١٩ وتوفى عام ٥٩٧) :

(أ) النصرة ، الورقة ١٣٩ أ ، ١١٣ ، ١١٩ أ ، ١٢٠ ب ، ١٣٩ أ ، ١٤٠ ب :
طغرائي ، عزلته ، استشاده ، وقد احتفظ بها البنداري في الزبدة
ص ١١٠ ، ١١٦ ، ١٣٢ ، ١٧٤ . أما أخبار الدولة السلجوقية فلم يذكر
الا ما تعلق بالاستشهاد ص ٩٧ .

(ب) الخريدة ، مجلدة بلاد العجم ، لم تكن نسختا ليدن كاملتين ، وكانت
ترجمة الطغرائي بين ما فقد من أوراقهما . وضمت مخطوطة مجلدة
الاندلس (باريس رقم ٣٣٣٢) صفحات من هذه الترجمة - حشرت في
المجلد غلطا ، وفيها : موته عام ٥١٥ ، مختارات من شعره ، وحفظ الصفدي
في شرح اللامية ص ٧ - فقرا نقلها عن الخريدة مما يتعلق بخدمته
السلطين ، وبراعته في الترسل والنظم وفنون العلم والكيمياء ، ومما يتعلق
بقتله (وقد نقل ناشر وفيات الاعيان في طبعة دار المأمون هذا الذي حفظه
الصفدي في هامش ترجمة ابن خلكان للطغرائي ، ولم يذكر الناشر
مصدره ، انما ظهر وكأنه ينقل عن الخريدة مباشرة) .

وفي مختصر الخريدة الذي عمله الشيخ علي رضائي ووسمه بـ « عود
الشباب » صفحات ذات بال ، في باب « فضلاء أصفهان وجرباذقان » ومنها :
نسبة الدثلي ، خدمة السلطين ، براعته ، الكيمياء ، استشاده ، اللامية وغيرها .
وقد يحفظ الصفدي وهو ينقل عن الخريدة أكثر ما حفظه رضائي في
مختصره . ومن مقابلة « عود الشباب » نعلم أن ياقوتا روى عن « الخريدة »
دون أن ينص عليها .

وترد للطغرائي ، في الخريدة ، أخبار تأتي عرضا في تراجم أدباء آخرين ،
كهذا الذي ذكره العماد (مخ ١٠٠ أكسفورد) مما يتصل بالخمرة ، والذي ذكره في
مجلة الشام وهو يتحدث عن الغزي وما كان بينهما من مكاتبات ص ٢٧ •

(٦) الراوندي (المتوفى عام ٥٩٩) : راحة الصدور ٢٢٩-٢٤١ : ثناء ،
٢٢٥ وزارة مسعود ، الراوندي يقرأ في حضرة سلطانه قصيدة من شعر الطغرائي
(= الديوان ٨-٥) دون أن يذكر اسمه • وقد يسوق الراوندي في معرض
كلامه على الاعلام والاحداث شعرا لا يتصل بزمنها كفعله وهو يثني على كيوخسرو
قليج ص ٣٢ اذ ذكر ستة أبيات هي مطلع قصيدة للطغرائي مدح بها مجد الملك
(= الديوان ٤١-٤٢) ، وحين تكلم على سنجر ص ١٧٠-١٧١ ذكر عشرة
أبيات (= الديوان ٧٥-٧٦) • وقد نبه الناشر على هذه التضمنات •

(٧) ياقوت (أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي المتوفى عام
٦٢٦) - ارشاد ، ٥ : ٥٢-٦٠ الوحيد الذي يذكر ميلاده • ينقل عن الخريدة
دون أن ينص عليها - وقد رأينا ذلك - مؤلفاته في الكيمياء ، قتله مشدودا الى
جذع شجرة ، مختارات ، يذكر اللامية منسوبة الى العجم ، ٦ : ٣٥٨ يرثي
الابوردي (يقارن ديوان الطغرائي ص ٨٤) ، ٦ : ١٨٣-١٨٦ جوابه على تهنة
الحريري عام ٥٠٩ ، ٦ : ٢٠٨ ، ابن أخت الشاعر : مخلص الدين كاتب سنجر •
(٨) ابن الاثير (عز الدين علي بن محمد ••• المتوفى عام ٦٣٠) :

(أ) الكامل ، ١٠ : ٣٩٥-٣٩٦ سن ٥١٤ مهم لتاريخ المصاف بين مسعود
ومحمود ، قتله ، عمره ، مدة وزارته •

(ب) الاتابكة ص ٤٢-٤٣ في الموصل •

(٩) ابن النجار (محب الدين محمد بن محمود المتوفى عام ٦٤٣) : ذيل
تاريخ بغداد • مما وصل الينا في « مستفاد » الحسامي (المتوفى عام ٧٤٩) :
ديلمي (؟) (= دثلي) ، ويمكن أن نلمح خلال السطور العماد وابن الاثير •

(١٠) سبط ابن الجوزي (شمس الدين يوسف قُزَا اوغلي المتوفى عام ٦٥٤) : المرأة سن ٥١٤ ، الدثلي ، أسباب قتله ، خادمه وقتل السميرمي عام ٥١٦ ، حفيده . وهكذا يستدرك السبط ما فات الجد .

(١١) ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن ابراهيم المتوفى عام ٦٨١) :
١ : ٢٨٤-٢٨٧ (الحسين) ، ترجمة مهمة ، رأينا مصادر عناصرها عند العماد .
ورأينا أمثالها عند ياقوت وسبط ابن الجوزي ، وينص ابن خلكان على « أنساب »
السمعاني وزينة الحظيري ونصرة العماد ، ويروي عن أبي البركات أحمد بن
المستوفي مؤلف تاريخ أربل : أن الطغرائي كان وزيرا في هذه المدينة (!) ونقل
الخبر عنه الصفدي والبارودي من دون تحقيق ، ١ : ٤٦٠ مقارنة مع ابن
الدهان ، ٢ : ٥٣١ مسعود ، ٣ : ١١٣ ابن الشجري يروي أربعة من أبياته
(قارن الديوان ص ٦٧) .

وفي مختصر الوفيات الذي عمله البارزي و ٣٩ ب أخبار لم نجدها فيما
بين أيدينا من نسخ ابن خلكان : دثلي ، أبيات رويت عن أسامة بن منقذ
والعزيز المستوفي .

(١٢) الصفدي (صلاح الدين خليل بن أبيك ، المتوفى عام ٧٦٤) :

(أ) الفيت ١ : ٦-٩ ينقل عن العماد ، ويمكن لمخ ابن الاثير - وربما ابن
خلكان - خلال السطور . ولو كان الصفدي ممن راجع « الارشاد » وتبه
الى دقائقه لما أتعب نفسه في محاولة ايجاد تاريخ ميلاد الشاعر أو تقريره .
ويذكر الصفدي مؤلفات الطغرائي ومنها المقاطيع . ان ضخامة كتاب
الصفدي لم تنفعنا بشيء يستحق الذكر ، ولكن هذه الاخبار التي نقلها عن
غيره ، ستكون مصدرا لاكثر شراح اللامية .

(ب) الوافي ج ١١ مخ . المجمع العلمي بدمشق ص ٨٨ ينقل أخباره عن ابن
الاثير وياقوت وابن خلكان دون أن ينص عليهم ، اطراء لامية المعجم ،
شرحه لها .

(١٣) ابن جماعة (القاضي عز الدين بن محمد . المتوفى عام ٧٧٦) :
التعليقة ، و ٧٣ أ- ٧٥ ب الديلمي (؟) ، طغرائي محمود ثم مشرف ، عزله .
أبيات رويت عن السمعاني أو عمن سمع الشاعر شفاها مثل الشهرزوري وابن
الشجري وابن الاخوة ، اللامية من غير غزل .

بقيت مصادر قديمة ، ولكنها لا تكاد تعدو في مجموعها أن تكون تكرارا أو
تلخيصا لمصادر أقدم ، كابن الاثير وابن خلكان والصفدي وهذه هي :-

ابن أبي أصيبعة : ٢٦٧ (وينظر ديوان الطغرائي ص ١٤١) - أبو الفداء
٢ : ٢٤٧ سن ٥١٥ - الذهبي في العبر (؟) ٢ : و ٤٥ سن ٥١٤ ، دول الاسلام
٢ : ٢٨-٢٩ - ابن الوردي ٢ : ٣١ سن ٥١٥ - ابن شاكر الكتبي في عيون
الاجبار ١٢ : ٥١٦ سن ٥١٤ (نسخة انكلترة) - ابن كثير ١١ : ١٩٠ سن
٥١٥ - حاج خليفة في مادة ديوان ص ٧٩٨ ، وكيمياء ص ١٥٢٦-١٥٣١ ،
ولامية ص ١٥٣٧-١٥٣٩ - الحنبلي ٤ : ٤١-٤٣ سن ٥١٤ - ابن خلدون في
المقدمة ، كيمياء من طبعة القاهرة ٢٣٤ ، ١٩١ ، في التاريخ ٥ : ٥٠ - ابن حجلة
(على هامش الانطاكي) ١٨٠-١٨١ - السبكي ٢ : ١٦-١٨ - الخوانساري ص
٩٤٨ - السيوطي في الكنز ٢١٢-٢١٤ ، ٢١٩ ، وفي التاريخ ٢٨٩ - الزبيدي في
شرح القاموس ، مادة طغر ٣ : ٣٥١ - برهان الدين و ٩ أ- ٩١ ب - شروح
اللامية (تنظر قائمة المصادر والمراجع) - المامقاني ٣٣٦-٧ (ومن مصادره
الشيخ الحر) .

ولم نقف في الدراسات الحديثة على شيء يستحق الذكر ، وربما كانت
مقالة كرنكو في دائرة المعارف الاسلامية ٤ : ٨٧ وبعدها من الطبعة الفرنسية
(وتنظر الطبعة الانكليزية) خير ما كتب . وينظر ما كتبه هوتسما في
الدائرة ٤ : ١٣٨ ب وهو يتكلم على السلطان محمود ، وما كتبه دني
في الدائرة نفسها وفي الجزء نفسه ص ٨٦ عن الطغراء ، وينظر هارتمان
٦ : ٨٥٨ وبعدها Raux في ترجمته اللامية الى الفرنسية - كلوستن ص ١٥٣

وبعدها ، ٤٤٣-٤ - نيكلسون ص ٣٢٦ - هيوار ٩٨-٩٩ - دربل D'Herbelt
٥ : ٤٧٨-٧٩ - ساسي في التراجم العالمية ٤٧ : ١٩٦-١٩٧ - شنرر ١٨٧ - برون
٢ : ٢٩٩ ، ٣٥٤ (وتنظر ترجمة الشواربي) - زنبور ٢٥٥ (وتنظر الترجمة
العربية) - دائرة المعارف الكبرى ٤١ : ٣١٨ •

زيدان ٣ : ٢٣ - البستاني في دائرة المعارف ٩ : ٣١١-٣١٣ - الهاشمي
٥٣٣-٥٣٤ - الاسكندري ٢٨٢ - الزيات ٢٣١-٢٣٣ - مظهر في مجلة الرسالة ،
العدد ٢٥٩ - القمي ٢ : ٢٠٨-٢١٠ - نزهة الجليس ٢ : ٧٣ - العالمي في أعيان
الشيعة ج ٢٧ - البارودي في المختارات - المنتخب من أدب العرب ج ٢ -
سركيس ١٢٤١ - محمود مصطفى في الادب العربي وتاريخه ٢ : ٢٦ واعجام
الاعلام ١٤٤ - الزركلي ٢ : ٢٦٧ ، ١٠ : ٧٤ - طه الراوي في مجلة الصبح -
مارون عبود في (مجددون ومجترون) ص ١٤٤ - الطاهر في « مقالات » -
كحالة في معجم المؤلفين ٤ : ٣٦ (وتنظر مصادره ومنها مجلة البدر التونسية) -
حتى في تاريخ العرب المطول ٢ : ٤٦٥ - شفق ١٢٨ من الترجمة العربية -
الجابري (في تاريخ أصفهان) ص ١٣٨ وهامش ص ٤٣ - صادقي (حسين نور
في « أصفهان ») ص ١٨٨ •

ومراجع غنيت باللامية وحدها ، ستذكر بالمناسبة •

سيرته

أبو اسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبدالصمد ، يعرف بألقاب عدة هي : العميد ، الأستاذ ، المنشئ ، الاصبهاني ، مؤيد الدين ، ولكن « الطغرائي » هو الذي غلب عليه .

ولد الحسين عام ٤٥٣هـ / ٢٠٦١م في جَيَّ^(٢) من أصبهان في عائلة شريفة مجيدة^(٣) من ولد أبي الاسود الدثلي^(٤) فهو - على هذا - عربي الاصل

-
- (١) ياقوت ، ارشاد ٥ : ٥٢ (وينظر الصفدي ، غيث ، ١ : ٨ « مولد الطغرائي في عشر السنين تقريبا ») .
(٢) الديوان ص ١٠٦ .
(٣) الديوان ص ٥٩ ، ٧٨ .

(٤) العماد في عود الشباب لعلي رضائي ، أبو الفدا ، ٢ : ٢٤٧ ، ابن الوردي ٢ : ٣١ ، البارزي في مختصره لوفيات الاعيان و ٣٩ ب ، وفي المرأة « قيل انه ... » . ومن المناسب أن تكون « الديلمي » التي ترد أحيانا - كما في المقطعات والمستفاد والتعليقة - تصحيفا للدثلي .

وفي محيط الفيروز اباذي « ... » وفي شرح اللمع للاصبهاني : أبو أسود ظالم بن عمرو الدثلي ، انما هو بكسر الدال وفتح الهمزة نسبة الى دثل كعنب وهي قبيلة ... ابن القطاع الدثل في كنانة رهط أبي الاسود بالضم وكسر الهمزة . وفي « لسان العرب » لابن منظور الدثل (بضم الدال وكسر الهمزة) من كنانة .

وقد يأتي نسب الطغرائي على : « دثلي » .

وقد يأتي ايضا على : « الليثي » كما في مخطوطة لندن رقم ٧٥٣٠ التي ضمت صفحات من شعر الطغرائي . وكذلك في ابن كثير ١٢ : ١٩٠ .
ومن عقد الجمان ص ٣١٤ نعلم أن الليث ودثل من بني بكر بن عبد مناف .
وينظر القلقشندي ومعجم القبائل العربية لعمر رضا كحالة .

وليس فارسية - كما هو الشائع ، وكما جزم المؤلفون المحدثون^(٥) دون أن يستقصوا في البحث .

وأصبهان^(٦) من امارات المدن الاسلامية ، ولها من جمال الطبيعة ما بعث الشعراء على التغني بهوائها وتربتها ، بساكنها وفاكهتها ، بنهرها زندروز وعذوبته ، بمتنزهاتها ومجالسها . وقيل ميلاد الطغرائي قال قائلهم :
يا بقعة هي دار الخلد ، أو خُلِقَتْ أنموذجا لنعيم دائم فيها
و « جي » أجمل ما في أصفهان :

قد اعتدلت أوقاتها وفصولها وما استكرهت يقظاتها ومنامها^(٧)

★ ★ ★

(٥) أمثال هيوار ، نيكلسن ، الزيات ، الهاشمي ، محمود مصطفى (في اعجام الاعلام) ، شفق ، طه الراوي ، الفاخوري . . . وقال العباس بن علي بن نورالدين في « نزهة الجليس » ٢ : ٧٧ انه « عجمي أصفهاني » وقال الشاعر . . . الفارسي .

ولعلمهم اعتمدوا في ذلك لقب « الاصفهاني » وهذا غير كاف ، لان العرب استوطنوا أصفهان منذ دخلها الاسلام مبكرا ، ولعلمهم اعتمدوا اسم قصيدته « لامية العجم » وما كانت هذه لامية للعجم - كما سنرى .

أما عن نسب أمه فقد قال العماد (كما جاء في عود الشباب) : « قال والدي هو نسيبنا من قبل الاحوال » . وقال في نصرة الفترة و ٢٤ ب : « وكان جدي لامي أمين الدين علي المستوفي . . . كاتباً لشرف الملك - أبي سعد منصور بن محمد مستوفي مملكة بغداد - في ريعان عمره وعنفوان أمره . الى أن صار بعده كاتباً لخزانة السلطان محمد بن ملكشاه » . وتنظر مقدمة خريدة العراق المطبوعة ص ١٣ .

(٦) جاء في معجم البلدان : « أصفهان . . . مدينة عظيمة مشهورة من اعلام المدن وأعيانها . . . وأصفهان اسم للاقليم بأسره وكانت مدينتها اولاً جيا ثم صارت اليهودية . . . وهي من نواحي الجبل في آخر الاقليم الرابع . . . صحيحة الهواء نفيسة الجو . . . ونهرها . . . غاية في الطيب والصحة والعذوبة . . . كانت مدينة أصفهان بالموضع المعروف بجي وهو الآن يعرف بشهرستان وبالمدينة . . . قال البلاذري وكان فتح أصفهان ورساقيها في بعض سنة ٢٣ وبعض ٢٤ » .

(٧) المافروخي ص ١١٨ والبيت لابي اسماعيل بن محمد الجرباذقاني .

فمن حلَّ « جيا » ليس يثني رجالها وأنسي حاجات بأخرى انتظامها
لشرب مياه الزندروذ اذا اشتكت من السقم نفس - كي يخف سقامها^(٨)

وقد استوطنت أصفهان قبائل عربية منذ سنوات الفتح الاولى حتى أصبحت
- على مر الايام - بيئة عربية ، ودارا للعلم والادب ، وكانت في العهد البويهى
- أيام ابن العميد ، مثلاً - من عواصم المعرفة المهمة^(٩) .

ترى ابن « ثلاث » بها يستفيد حديث الرسول ويتلو الكتاب
ومن فوقه ، حافظا كتابا أديبا نجيبا يباري النجباء^(١٠)

ومن المنتظر جدا أن يكون « الحسين » واحدا من « أبناء الثلاث » هؤلاء .
و « الثلاث » مجاز فيه كناية عن التبكير في التحصيل . ومن المنتظر أن يكون
قد أَلَمَ بكل فنون معارف عصره ، ودرس اللغة والادب على شيء من العمق ،
ولعله أعجب مبكرا بالمتنبى والشريف الرضى وأحس في نفسه من المطامح
ما يقربهما منه ويقربه منهما^(١١) .

والتحصيل لا يقتل الشباب في نفوس الشعراء ، وبها هو ذا « الحسين »
وقد أحب فتاة كانت « المنى » في الكمال والجمال والعفاف ، وقد فاز بها « من
بين يأس وخيبة » وبعد أن « غايظ فيها أهل بيته كلهم » ، فآتست منزله وصيرته
جنة ينسى فيها همومه ، ولكن عمر هذه السعادة الزوجية كان « قصير المدى » ،
فما هي الا أن احتضرت وراح الموت « يقبض كفها ويسطها » « وقد دمعت
أجفانها » ، وما هي الا أن أسلمت الروح الى بارئها فغاب الهلال و « ذوى
الغصن » وأصبح العرس مأتماً فأضاع الشاعر رشده وفقد اضطباره ، ولم
تجدِ الدموع .

(٨) المافروخي ص ١١٩ .

(٩) تنظر - مثلاً - يتيمة الدهر للشعالبي ، وتجارب الامم لمسكويه .

(١٠) المافروخي ص ١١٥ .

(١١) كما يحس ذلك في شعره .

توفيت تاركة رضيعا يزيد في أحزان « الحسين » الذي ظل يحن إليها ،
وينظم الشعر الصادق في رثائها ، ويجد في زيارة قبرها بعض السلوى :

مضت حين لم أصغر فأجهل قدرها ولم أعمر الدهر الطويل فأحلما
وأقسم على ألا تسكن نفسه الى سواها . . . ولكن ضرورات الحياة عدلت
من رأيه فتزوج ثانية ورزق الولد (١٢) .

ذلك ان شواغل اخرى كانت متمكنة من نفس أبي اسماعيل ، وتحته في
طريقه لنيل السها . وكان عليه - في سبيل ذلك - أن يستعين بالمتفذين من رجال
عصره .

ومن أوائل من قصد : « أبو المحاسن معين الملك محمد بن فضل الله » وهو
همام ماجد ملأ « في ديوانه العين والصدرا » .

قصده ، وخدمه ، وظل يسعى للتقرب منه والاستعانة به ، وقد بلغ جانباً من
مراده ، وجدد السعي ، فحصل على خير كثير ، وكان أهم ما يهيمه الارتقاء في
المناصب ، وتقديمه على سواه واعطاؤه حقه الذي يراه لنفسه ، ويرى انه أفضل
من غيره فيه .

يقصده كلما هم بأمر أو ألم به مكروه ، فيجد عنده ما يسره ويسري عنه :

أقول لاحداث النوائب اذ عدت
عليّ وأبدت حدّ أنيابها العصل
إليكِ فاني لا أبالي بضيقه
يفرّجها رأي الكريم « أبي الفضل »
تعودت منه أن ألمّ ببابه
شريداً فأغدو عنه مجتمع الشمل

(١٢) هذه المعلومات خلاصة لما جاء في شعر الطغرائي ص ٨١-٨٥
من ديوانه .

ويزيد في الخطاب ، ويكرر الطلب :

أترضى لثلي أن يعيش مطرحا

لدى معشر لا يعرفون له قدرا

قلوبهم من جهلهم في اكنة

وأذانهم من غيهم ملئت وقرا

* * *

يغالون بي من غير علم وانما

يرون مقامي بين أظهرهم فخرا

* * *

وما أنا الا كالكريمة كلما

رأت كفؤها في المجد أرخت المهر

فهل فيك أن تفتكني من أسارهم

فاني بين القوم من جملة الأسرى

فاستجاب لطلبه ، وأحسن اليه ، ومد يد العون ، وقربه وفسح له في

مجالى الديوان •

وكان من أفضال معين الملك أن قدم الشاعر الى (نظام الملك) ، وكان التقديم

الى نظام الملك فوزا كبيرا ، لان نظام الملك كل شئ في العصر وفي السلطان •

وقد ذكر الطغرائي هذه النعمة ، وقرنها الى غيرها ، وشكر :

جناب « نظام الملك » بحر وردته

على ظمأ مني وأنت له جسر

وأنت الذي أوردتني بعدما انطوى

على غلة صدري وطال بي العصر

وما يهتدي صرف التواب لأمريء

وأنت له من دون ما نابه ستر

وتقرب منه وتقرب ، حتى عدّ عليه ، ولقي في سبيل ذلك أذى أعدائه
وتهديداتهم • ولكنه أصر وأصر :

توعّدني في حب آل محمد
وحب « ابن فضل الله » قوم فأكثروا
فقلت لهم : لا تكثروا ودعوا دمي
يراق على حبي لهم وهو يهدر
وقد يجري بينه وبين « حاميه » ما يجري ، فيلقى الشاعر اهمالاً ويصيه
نكد في معاشه ، فيرسلها مدحاً واعترافاً وعتاباً واستعطافاً :

هو الشوق حتى ما تقر المضاجع
وبرح الهوى حتى تضيق الأضالع

★ ★ ★

ولولا معين الملك أخفق طالب
ورُدّت على أعقابهن المطامع

★ ★ ★

ألا يا معين الملك دعوة عاتب
على الدهر أوهى مروتيه القوارع
أقصى ويدعى من سواي وينشي
بريح وفي حظى لديك وضائع
أما أنا أهل للجميل لديكم
حقيق بأن تسدى اليّ الصنائع

★ ★ ★

أما أنا موزون بكل مؤارب
يكاتم ما في قلبه ويخادع

فظاهره سلم لديك مواع
وباطنه حرب عليك منازع

* * *

وأعظم ما بي انني من فضائلي
حرمت وما لي غيرهن ذرائع
إذا لم يزدني موردني غير غلّة

فلا صدرت بالواردين المشارع
وان لم تجد في السحب الا صواعقا

فلا جادت الدنيا الغيوث الهوامع
أترضى العلى أني علقت حبا لكم
فخانت قواها في يديّ القواطع

وحاشى مرجي نيلك الغمر أن يرى
كقابض ماء لم تسعه الاصابع
فما لك تعصي المجد فيّ وانما
تطاوعه فيما ترى وتتابع

وما لك تزوي الوجه غني وتزوي
ووجهك وضاح ونشرك ضائع
وكنت ارجى أن أنال بك السها

فها أنا نجمي هابط فيك راجع
أذل لمن دوني وأعطي مقادتي
فاغضي وخذ الفضل أغبر ضارع

وهل نفعي أني أمت بحرمة
إذا لم يكن من حسن رأيك شافع

وفي هذه العينية عرض حاله ، وأبان السبب الذي أدى الى ألمه ، وهو في
الوقت عينه الدافع الى النظم والباعث عليه - وفيها نفس من أنفاس روميّات
أبي فراس •

لقد أبعد أبو اسماعيل ، وقرب غيره ، تلك مصيبة المصائب ، وهو الرجل الجدير بالفضل القمين بالجميل ، المتمكن التقدير ، بل المخلص الذي لا يضرر لمعين الملك غير الاحترام الحق والاكبار الصادق ، المخلص يؤخر ويقدم عليه من سواء ، من كل منافق مخادع ، ذلك أمر موجه ، وأكثر من موجه •

ولابد من أن يكون سبب هذه الكارثة ، وهذا التغير الذي طرأ من أفاعيل الحاقدين الحاسدين ، ولقد بلغوا مرادهم وجعلوا معين الملك يشيح بوجهه عن شاعره ، وجعلوه ينزل له عن منزلته ، وأوقعوا « الحسين بن علي » في قلق واضطراب وأسى وحزن - ولكنه يأمل على أي حال ، ويسعى الى الاستصلاح ، وله من شعره معين •

وما هي الا أن يرضى المعين ، لانه « كريم » ولان الطغرائي يذكر ويشكر ، وكل ما في أمره أنه يطمح الى أشياء كثيرة ، لا تنتهي •

وبينما كان الطغرائي في غفوان الامل ، اذ تحل « بحاميه » نكبة عظيمة ويودع الحبس ، ويكاد يقضى على حياته ، فيشتفي الاعداء ، ويفرحون بنجاح السعيات والقالة • فيتألم الطغرائي أشد التألم ، وتصبح نكبة « المعين » نكبته ، لانه أصابت طماحه ، ولعين الملك في نفسه مكانة سامية ، وفي قلبه منزلة رفيعة ، انه أكثر من محسن ، ثم ان نكبة المعين نكبة الطغرائي ، فقد ألّبت عليه أعداء المعين ، فجاءوا يشتمون به ويسخرون منه ، ويتندرون به ، فيزداد الشاعر ألماً الى ألم وحزناً على حزن :

أقول وصرف الدهر يحرق نابه

عليّ وتستولي على فواقره

وقد صرّدت في جانبي نباله

وأولع بي أنيابه وأظافره

خذيّني وجزيّني صفارا وابشري

بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره

فبعد « ابن فضل الله » طأطأ منكبي
 يد الدهر مذ أولى عليّ قوافره
 وأثر في عودي النيوب وطالما
 تمنع واستعصى عليها مكاسره
 واسلمني للنائبات بعاده
 كما أسلم العظم المهيض جبائره
 وراع جنائي نبأ الخطب بعده
 ويا ربما هانت عليّ زماجره
 لقد حاز نعماء رجال صفت لهم
 أصائل عيش أرمضته هواجره
 جزتهم جوازي السوء عن حسناته
 ودارت عليهم بالمنون دوائر
 ومن يجحد النعمى التي هو ربها
 فاني على العلات ، ما عشت ، شاكره
 لقد كنت في غطاء مطولة الذرى
 بيت عليها النجم وهي تساهره
 فلما رماء الدهر أصبحت بعده
 بمستن سيل الذل تغطي زواجره
 ويلتفت الى المعين نفسه وقد احتواه السجن ، وانقلب عليه الصديق ،
 وشتت به العدو ، يلتفت اليه يصبره ويعزيه ويشد من عزمه ويوسع في أمله :
 فصبراً معين الملك ان عنَّ حادث
 فعاقبة الصبر الجميل جميل
 * * *
 أما لك بالصديق يوسف اسوة
 فتحمل وطء الدهر وهو ثقل

وما غض منك الحبس والذكر سائر
طليق له في الخافقين ذميل

* * *

ولا شئت الدنيا بيومك انما
بقاؤك فيها غرةٌ وحجول
ولا متُ أو ألقى لحظك دولة
وحظ الاعادي رنةٌ وعويل

ثم كان عليه أن يدفع عنه ، ويرد الآمين ، ويعرب عن مدى اخلاصه :

ومعرض بأبي المحاسن بعدما
عثر الزمان به وغير حاله

* * *

قد قلت لما سل فيه لسانه
سفهاً وعارض بالمصون مذاله
مهلا ، فقد أوتيت بسطة جاهه
واجل منه ، وما عثرت خصاله

هذا ما نفهمه من شعر الطغرائي نفسه^(١٣) ، ونفهم من التاريخ أن معين
الملك المذكور هو سيد الرؤساء بن كمال الدولة أبي الرضا فضل الله بن محمد
صاحب ديوان الانشاء والطغراء وأحد مؤيدي دولة نظام الملك المقربين . وكان
سيد الرؤساء ينوب عن أبيه وكان مقبلاً مقبولا بلغت مرتبته من اصطفاء السلطان
(ألب أرسلان) اياه الى غاية لم يبلغها أنيس ، وزادت هذه المنزلة بعد أن صار
ختناً لنظام الملك وتزوج ابنته وحدث - بعد ذلك - أن اتصل بخدمة
السلطان ، عميد الدولة ابن بهمينار فتصادق ورئيس الرؤساء على عداوة نظام
الملك فنكبا . . . وسجنا . . . وسملا . . . وسقطت منزلة كمال الدين ونكبتة نكبتة . .

(١٣) الديوان ص ٤٣-٥٤ .

وتولى مؤيد الملك بن نظام الملك مكان كمال الدولة من ديوان الانشاء والطغراء (١٤) .

والطغرائي صادق اللهجة فيما أخبرنا به عن اخلاصه في الدفاع عن سيده والاسى عليه . ولكن الذي نعرفه ايضا أنه مدح نظام الملك وابنه مؤيد الملك ، وقد يكون شطر من هذا المديح مما نظمته في أيام الصفاء وفي أيام عز معين الملك ، ولكن الذي لا شك فيه أن شطرا آخر منه يرجع الى ما بعد النكبة ، وإذا فقد أصلح أمره مع أهل الكلمة « العليا » .

وكما خدم الطغرائي الرؤساء والوزراء ، خدم السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان (١٥) .

ولدى موت ملكشاه عام ١٠٩٢/٤٨٥ اشتداد النزاع بين ولديه بركيارق ومحمد ، كان الطغرائي أقرب الى الثاني (١٦) . وقد اقترن هذا النزاع بتنافس شديد بين صدرين كبيرين هما : مؤيد الملك وزير بركيارق ، ومجد الملك المقرب من أم السلطان ، وقد انضم مؤيد الملك الى محمد واستناره على حرب أخيه ، فكان أن أخذت أصفهان وقتل مجد الملك عام ٤٩٢ .

ويبدو أن الطغرائي ترجح بين مؤيد الملك ومجد الملك بالمنصب الأكدر ، فأغضب ذلك مؤيد الملك ، واضطر الشاعر الى الاعتذار والاعتراف (١٧) ، ولعله نجح في مسعاه ، لانتنا نراه يرثي الوزير لدن قتله عام ٤٩٤ بقصيدة طويلة مخصصة (١٨) .

(١٤) العماد في النصرة وعنه في الزبدة ص ٥٩-٦٠ ، وقد خلط صاحب « أخبار الدولة السلجوقية » ص ٦٨-١١٩ بين الكمال وولده .
(١٥) العماد في عود الشباب و ٧٨ أ ، الصفدي في الغيث ١ : ٧ نقلًا عن الخريدة .

(١٦) الصفدي ، الغيث ١ : ٨ نقلًا عن الخريدة . الذهبي ، العبر (٩) ٢ : ٥٤ ، دول الاسلام ٢٧٢ . ياقوت في الارشاد .
(١٧) الطغرائي في ديوانه المطبوع ص ١٨-٢٦ ، ٢٦-٣١ ، ٣٤-٤٣ ، ٢٧ .
(١٨) الديوان ص ٣١-٣٤ ، وقد جاء في الديوان أن تاريخ القتل هو سنة ٤٤٠ وهذا خطأ بين .

ولا نعلم شيئا عما كان يفعله الطغرائي بعد هذا التاريخ ، وربما أمكن القول بأنه كان يشغل أعمالا تتصل بالانشاء والطغراء ، وانه في تاريخ ما عزل عن عمله .

وفي عام ٥٠٤هـ / ١١١٠م رفع الى أحد السلاجقة قصيدة ذكره فيها بخدماته السابقة وشكا اليه ما ناله من حيف ، وطلب منه منصبا ينقذه من « الضر الذي أودى به » . وربما كان من آثار هذه القصيدة أن أصبح نائبا في ديوان الطغراء الذي كان يشغله الامير العميد في وزارة الخطير (٢٠) .

ويخبرنا العماد أنه عندما توفي العميد سنة ١١١١/٥٠٥ « جلس مكانه في ديوان الطغراء وصدر الانشاء الاستاذ أبو اسماعيل الكاتب الاصفهاني . وكان ذا فضل غزير وأدب كثير ، تولاهما بالاصالة متصدرا في دست العلاء وكان اذا أنشأ تروى بطيا وتفكر مليا وغاص في بحر خاطره ثم أتى بالمعاني البديعة والاستعارة الغريبة » (٢١) « ولم يكن للدولتين : السلجوقية والامامية من يضاياه في الترسل والانشاء » (٢٢) .

ولم يدم له عزه هذا ، فقد بدأ المناوئون يسعون به ، واشتدت عليه السعيات ، فحدّ نفوذه وكسف جاهه ، وهم بالاعتزال لولا ولعه بالمنصب ، ولولا أمله بتغير الاحوال (٢٣) .

وفي سنة ٥٠٥ نفسها ، حل به - وهو بمدينة السلام - « خطب عظيم » فقد عزل وعلاه من دونه ، وتكر له أصدقاؤه ، وثقلت عليه الإقامة ببغداد ،

(١٩) الصفدي ، غيث ١ : ١٩ (وينظر الديوان ص ٨-١٠) .

(٢٠) بندراي ص ١١٠ . وقد وزر الخطير عام ٥٠٤ (ينظر ابن الاثير) .

(٢١) بندراي ص ١١٠ ومن تمام الخبر « وكان مع ذلك بطيء القلم كليلا ، ملتاث الخط عليه . . . » (!)

(٢٢) العماد في عود الشباب وفي شرح الصفدي على اللامية ، وينظر الارشاد والوفيات . والمقصود بالدولة الامامية ، دولة الخليفة تميزا لها عن دولة السلطان .

(٢٣) ينظر الديوان ص ٥٩ . ولا بد من أن يكون الوزير الخطير بين كبار الحاقدين .

فنظم قصيدتين هما من خير ما قال : امتزج فيهما الواقع بالمثال ، والعقل بالقلب ،
والحكمة بالطيش ، والحرب بالسلم ، والطموح بالقناعة ، والتواضع بالكبرياء •
والقصيدتان هما : اللامية المشهورة :

أصالة الرأي صانتني عن الخطل وحلية الفضل زانتني لدى العطل
وبائية لا تقل عنها في الاعراب عما اختلج في ذلك القلب الجريح من ألم
وسخط ، ومطلعها (٢٤) :

أهاب به داعي الهوى فأجابا وعأوده نكس الصبا فتصابي
وفيها ثورة على العراق وأهل العراق :

... مللت ثوائي بالعراق وملتني رفاقي وكانوا بالعراق طرابسا

فلا زائر يغشى جنابي لحاجة * * * ولا أنا أغشى ما أفتت جنابا

هو الربع لم يخلق بنوه أعزة * * * كراماً ولم تثبت قناه صلابا

بنو الغدر لما فتش البحث عنهم * * * أراك وميضاً خلباً وسرابا
وعتاب على الخلافة :

فيا عجباً حتى الخلافة ما رأت لحقي أن أجزى به وأثابا
ولم ترع لي نصحي القديم وصحبي أخوض غماراً أو أروض صعبا
لعمري لقد ماحضتها النصح باذلاً لوسعي وقد ردت اليّ منابا

(٢٤) وفي القصيدة هجاء لشخص اسمه « زريق » يبدو أنه كان على حظ
من نفوذ ، في دولة الخليفة (؟) •

أليس زريق لم يخف أن أمضه عتاباً وهل يخشى اللثيم عتابا
تصامم عني أو تعامى ولم يخف سهاماً من العتب الممض صوابا
وفيت بعهد كان بيني وبينه وراعيته لما شهدت وغابا
وكذبت أقواماً حكوا أن بينه وبينني مقامات بمصر خطابا
ولو صح ما يعزى اليه لحلقت بأشلائه ربد النسور سقابا
وكيف يرجي من يكون ادعاؤه ولاء أمير المؤمنين كذابا
ربما : في الاصل ريد ، ووردت « زريق » و « ربد » في مخطوطة بيروت « فلانا »
و « زهم » • ومعنى زهم سمنية •

فيا ليت نصحي كان غشاً ، وطاعتي
كما صار آمالي غروراً وخدمتي
ويا ليتني دامت فيهم معاشراً
تركهم شوساً عليّ غضاباً

والايات صريحة في التعبير عن صلة الطغرائي بالخلافة ، وشدة هذه الصلة
ايضا ، وكان ذلك في عهد المستظهر •

وطبيعي أن يعتزم الشاعر الهجرة ويتذكر الوطن ، ولعله نفذ العزم ورحل
الى أصفهان ، ولعله أمضى فترة متغزلاً ومنصرفاً الى الكيمياء والتأليف فيها (٢٥) •
وهيهات ، فقد كانت همته ترى في العزلة مقاما على الهوان (٢٦) فعاود السعي
واصلاح الامور ، حتى اذا كان عام ٥٠٩ رأينا القاسم بن الحريري يكتب اليه
يهته بولاية الطغراء بأصفهان (٢٧) •

وفي هذه الايام وحوالي عام ٥١٠ رزق علياً ، وفرح وشكا ، ولم يكن مرد
الشكوى الفقر أو العزل وانما الشيخوخة وحرص الآباء :

هذا الصغير الذي وافى على كبري
وافى وقد أبت الايام في جسدي
أقرّ عيني ولكن زاد في فكري
تلما كنم الليالي دارة القمر

* * *

سبع وخمسون لو مرت على حجر
فزاد حرصي على الدنيا وجدد لي
أضوي عليه وأخشى أن يعاجلني
وأشتهي أن أراه وهو مقبل
أحيا مآثر آبائي وأشبههم
لبان تأثيرها في صفحة الحجر
ضناً بمالي واشفاقاً على عمري
يومي ولم أقض من ترشيحه وطري
غض الشباب خضيب الوجه بالشعر
في مجدهم واقتفى في هديه أثري (٢٨)

(٢٥) تنظر مخطوطة باريس في الكيمياء •

(٢٦) الديوان ص ٧٩ •

(٢٧) ياقوت ، الارشاد ٦ : ١٨٣-١٨٦ (= ١٦ : ٢٩ من ط • المأمون) ؟

(٢٥) تنظر مخطوطة باريس في الكيمياء •

وفي عام ٥١١ يتقدم في مدارج الادارة شخص سميرمي^(٢٩) فيصبح مستوفيا بل القابض الفعلي على زمام الحكم • وكان السميرمي يبغض الاستاذ أبا اسماعيل - « الوحيد الذي بقى من القدماء • ولما لم ير أعداء - الطغرائي - في فضله مطعنا ولا على علمه من القدح مكنا ، أشاعوا بينهم أنه ساحر ••• وان مرض السلطان (محمد) ربما كان بسحره ، وانه ان لم يصرف عن تصرفه فلا أمن من أمره ، فبطلوه وعطلوه واعتزلوه وعزلوه »^(٣٠) • وعاد الخطير الذي كان وزيرا ، يمد الطغراء بخطه •

ولم يكن رأي الطغرائي بالخطير حسنا ، وهو القائل فيه :

أما الخطير فجبهة وعمامة ومنازل مرفوعة الأساس
واذا رجعت الى الكرام فطاعم ما بين أهل المكرمات وكاسي^(٣١)

وفي هذه السنة أي في سنة ٥١١ نفسها ، توفى السلطان محمد وتمكن ابنه محمود من السلطنة بعده^(٣٢) ، وأناط بالطغرائي ديوان الطغراء والانشاء ، وظل يدبره حتى أمره السلطان بملازمة بيته^(٣٣) و « استقر الشهاب أسعد في مكانه وانتصب في منصب ديوانه »^(٣٤) • وربما كان هذا من بعض دسائس السميرمي عليه •

ولم تكن مطامح الطغرائي لتستجيب لهذا الامر ، فقد قصد الموصل - حيث الملك مسعود بن السلطان محمد - وكان صغيرا^(٣٥) ، ابن احدى عشرة

(٢٩) ينظر البنداري ص ١١٠ ، وسيرد كلام عليه •

(٣٠) بنداري ص ١١٦ •

(٣١) الديوان ص ١٢٨-٩ • وفيه اشارة الى بيب الحطيثة المشهور :
دع المكارم •••

(٣٢) ينظر الصفدي في الغيث ١ : ٨ ، ١٩ •

(٣٣) التعليقة و ٧٤ ب •

(٣٤) عود الشباب و ٧٨ ب •

(٣٥) عود الشباب و ٧٨ ب ، الصفدي في الغيث ١ : ٨ •

سنة (٣٦) ، ويدبر له الملك في حكم الموصل وأذربيجان أتابكه جيوش بك (٣٧) ، وكان محمد - ابن الشاعر - يشغل الطغراء (٣٨) في مملكته ، ولم يخف الشاعر قصده من هذه الرحلة ، فكان أن قال مخاطباً الملك مسعوداً :

... ان الهوى والرأي ما لا نحوكم بركائبي ، وهوى الرجال فنون
أبلغ نهايات العلى وسجيتي تأبى التوسط ، والتوسط دون
واسلم لادرك فيك ما أملت ظناً ، وظن الالهي يقين (٣٩)

وتحقق له بعض هذا العلى اذ استوزره مسعود (٤٠) « وأصبح بالمؤيد مؤيداً وسداده مسدداً » (٤١) .

ولكن الطغرائي الذي ظهر في نونته من الحريصين على سلامة البيت السلجوقي ، ومن دعاة وحدته ، لم يلبث أن غير رأيه وانضم الى المؤامرة التي كان يحوكمها ديس بن صدقة المزيدي - ملك الحلة ، « ويكتب بها - جيوش بك ويحثه على طلب السلطنة للملك مسعود ويعده المساعدة ... فحسن - الطغرائي - ما كان ديس يكتب به من مخالفة السلطان محمود والخروج عن طاعته (٤٢) » .

« وظهر ما هم عليه من ذلك ، فبلغ السلطان محمود الخبر ، فكتب اليهم يخوفهم ان خالفوه ، ويعدهم الاحسان ان أقاموا على طاعته وموافقته ، فلم يصغوا الى قوله ، وأظهروا ما كانوا عليه وما يسرونه ، وخطبوا للملك مسعود بالسلطنة و ضربوا له التوب الخمس ، وكان ذلك على تفرق من عساكر السلطان محمود ،

(٣٦) ابن الاثير ١٠ : ٣٩٦ .

(٣٧) ابن الاثير .

(٣٨) ابن الاثير ١٠ : ٣٩٦ ، التعليقة و ٧٤ ب .

(٣٩) ديوان الطغرائي ص ٨ .

(٤٠) عود الشباب و ٧٨ ب ، ابن الاثير ١٠ : ٣٩٥ سن ٥١٤ ... « بعد

أن عزل أبا علي بن عمار صاحب طرابلس سنة ثلاث عشرة » .

(٤١) عود الشباب و ٧٨ ب .

(٤٢) ابن الاثير ١٠ : ٣٩٥-٦ ، سن ٥١٤ .

فقوي طمعهم وأسرعوا السير اليه ليلقوه وهو مخف من العساكر ، فاجتمع اليه خمسة عشر ألفا « (٤٣) . والتقوا عند « أسد آباد » قرب همذان « (٤٤) » . وسط ربيع الاول من ٥١٤ « واقتلوا بكرة الى آخر النهار ، وكان البرسقي في مقدمة السلطان محمود ، وأبلى يومئذ بلاء حسنا ، فانهزم عسكر مسعود آخر النهار وأسر منهم جماعة من أعيانهم ومقدميهم ، وأسر الاستاذ أبو اسماعيل وزير مسعود « (٤٥) » - « وكان أول من أخذ » (٤٦) « فأخبر الوزير كمال الملك - السميرمي - به فقال الشهاب أسعد - وكان طغرائيا في ذلك الوقت نيابة عن النصر - أخي كمال الملك - : « هذا الرجل ملحد » فقال الوزير : « من يكن ملحدا يستحق أن

(٤٣) ابن الاثير ١٠ : ٣٩٥-٦ ، سن ٥١٤ .

(٤٤) بنداري ص ١٣٢ (= ص ١٢١ من ط ٢) .

(٤٥) ابن الاثير ٠٠٠ وتحدث العماد عن المصاف ١٣٩ أ - و ١٤٠ من النصره فقال : « وفي سنة ثلاث عشرة وخمسمائة جرى بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود مصاف بقرب همذان وكان النصر فيه للسلطان ، وذلك أن الملك مسعودا كان مسلما الى الامير جوشبك وهو أتابكه في الموصل ، وعسكرا الشام وديار بكر في خدمته ، وهو ينعت بملك الغرب لحد مملكته ، فجمع أتابك جيوش بك جيوشا كثيرة وجمعا جما غفيرا وطمع في أخذ السلطنة وجعل الاستاذ مؤيد الدين الطغرائي وزيرا لمسعود ولم يعلم أنه لا يتمكن فيها من مسعود ، فعلم السلطان بجنده وحشره وطى طريق الطمع اليه ونشره و (راعته) جيوش جوشبك فانزعج لها وتحرك وأخذ عدته للحرب فما أبقي ممكنا ولا ترك ، وحكى يومه المسفر ليله المعتكر لما حضر المعترك ، وبرز في حديد لمع شعاعه خرق ستر العجاج وهتك ، ٠٠٠ وجاء جوشبك بمسعود تحت جثره كالقمر في الهالة ، ولما اصطف الجمعان ثم كاد أن يجتمع الصفان ودنا أن يلتقي البحران ويلتطم الموجان بصر مسعود بأخيه محمود فحن اليه وضبطه جوشبك فلم يعرج عليه وصاح : ايجي ايجي ، وهى كلمة بالتركية للاخ الكبير ، فتشوش على جوشبك جميع ما قدمه من التدبير ، وساق مسعود ووقف الى جنب السلطان محمود أخيه وأسلم للنهب والسلب جميع ما كان معه من جنوده ومواليه ، فأول من أخذ وزيره ٠٠٠ الطغرائي ٠٠٠ .

وينظر البنداري ص ١٣٢-١٣٣ وأخبار الدولة السلجوقية ص ٩٦-٩٧ .

(٤٦) بنداري ص ١٣٣ .

وتذكر المرأة أنه « هرب يوم الواقعة فأخذه غلمان الوزير ٠٠٠ » .

يقتل « (٤٧) وقد أقام أقواما فشهدوا عند السلطان محمود أن الطغرائي زنديق
وانه لا يتدين بدين الاسلام « (٤٨) فقال السلطان : « ٠٠٠ قد ثبت عندي فساد
دينه واعتقاده » (٤٩) « وأمر بقتله » (٥٠) فقتل - أو ذبح - بين يديه صبرا في
ربيع الاول (٥١) من عام ٥١٥ (٥٢) و « كانت وزارته سنة وشهرا » (٥٣) و « قد

(٤٧) بنداري ص ١٣٤ وفي الطبعة الثانية ص ١٢١ : « يستحق أن
يقتل ظلما » ، وليست « ظلما » معقولة في مكانها ، والصحيح ما جاء في البنداري
ط ١ « ٠٠٠ ، فقتل ظلما » ومثله في « أخبار الدولة السلجوقية » التي نقلت
الخبر نصا كما في البنداري ط ، ١ . ومثله كذلك في ابن خلكان . أما في أصل
النصرة و ١٣٩ ب « من يكن ملحدا يستحق قتله ، فقتله ظلما » والبنداري
ط ، ١ قريب منه .

(٤٨) المرأة ط . شيكاغو ٨ : ٥٦ .

(٤٩) ابن الاثير ١٠ : ٣٩٦ .

(٥٠) وفي المرأة ٨ : ٥٦ « فعاجله بالقتل » . وفي رواية اخرى ما يشير الى
أنه عفا عنه ولكن السمرمي دس عليه فعاد فقتله .

(٥١) العبر مخ . باريس ٢ : ٤٦ و ٥١٤ سن .

(٥٢) السنوات التي ترد تاريخا لوفاة الطغرائي هي : ٥١٣ ، ٥١٤ ،
٥١٥ ، ٥١٨ ، نقبل منها الـ ٥١٥ لانها وردت في أكثر المصادر وأوثقها مثل
السمعاني في الانساب ، (برواية ابن خلكان ١ : ٢٨٤) ، والعماد في الخريدة على
الورقة ٥ ب من مخطوطة باريس ٣٣٣٢ (وعن الخريدة نقل الصفدي ١ : ٨) ،
وياقوت ، ارشاد ٥ : ٥٢ (= ط . المأمون ١٠ : ٥٩) ، وأبي الفداء ٢ : ٢٤٧ ،
« وهكذا ذكره القاضي شهاب الدين » ، ابن جماعة و ٧٥ أ ، حاج خليفة .
ولا نقبل الـ ٥١٣ فقد وردت غير واضحة عند ابن خلكان ١ : ٢٧٨ ،
ورواها عاطف بك في « أدبيات اللغة العربية » نقلا عن « زينة الدهر » ، وزينة
الدهر مفقود (!) . ومثله الميناوي ص ١٩٤ وصادقي ١٨٨ - ووردت في نصرة
الفطرة تاريخا للمصاف .

أما الـ ٥١٨ فقد وردت عند ابن خلكان ممرضة بـ « وقيل ٠٠٠ » وقد
كفانا كرتكو في دائرة المعارف الاسلامية مؤونة دفعها ، اذ نبه الى أن قتل
السمرمي كان عام ٥١٦ . وعجيب أن ترد هذه السنة في مختصر مزيل
السمعاني ، مخطوطة ليدن M2 : 29 ص ٤٣ ، ومخطوطة نبذ العجم في المتحف
البريطانية رقم ٣١٦٤ .

أما عام ٥١٤ فهو العام الذي ذكر فيه ابن الاثير تفصيلات مؤامرة جيوش
بك ودبيس على السلطان محمود ٠٠٠ ثم المصاف ٠٠٠ وقتل الطغرائي (وينظر =

جاوز الستين سنة ، (٥٤) .

ترى ، أحق ما رووا من أن الطغرائي كان ملحدا ، زنديقا ، لا يدين بالاسلام ؟! ان ذلك تلفيق لا غبار عليه ، فالطغرائي مسلم دون ريب ، ولو وقفت المسألة عند الالحاد لقلنا ان متأه تشيعه (٥٥) ، وطالما اختلطت كلمة الالحاد - في العصر - بالباطنية والتشيع ، حتى قال الخوانساري : « ان من أقوى الامارات لتشيع هذا الرجل نسبة الالحاد اليه » (٥٦) . وما كان دين الطغرائي يوما مجال شك ، وكثيرا ما عقب المؤرخون بأنه : « قتل مظلوما » (٥٧) ، ومنهم من عده « شهيدا » (٥٨) .

ولو صدرت التهمة من انسان غير السمرمي لاستحقت العناية ، أما وانها خرجت من رجل « كان مجاهرا بالظلم والفسوق » (٥٩) فمن العبث الوقوف عندها وأخذها سببا للقتل ، لان هناك ما هو أهم وأعقل ، فلقد كان

= أبو الفداء ٢ : ٢٤٧) وذكرها ابن خلكان مسبوقة بـ « وقيل ٠٠٠ » فمن المحتمل أن يكون عام ٥١٤ عام الاستعداد للمصاف والمصاف ، وليس عام القتل .

(٥٣) ابن الاثير ٠٠٠

(٥٤) ابن اثير ، ياقوت ، ابن جماعة .

ولا ندرى مصير ابن الطغرائي - أبي المؤيد محمد ، كما اننا لا نعرف شيئا عن « علي » الذي رزقه وقد مرت به الـ ٥٧ ، ولا نعرف شيئا عن اسماعيل ، وان كنا نعلم عن طريق ياقوت : ان أبا اسحاق يحيى بن اسماعيل كان يستمع الى شعر جده ويرويه .

ويذكر سبط ابن الجوزي ج ٨ سن ٥١٤ : ان الطغرائي هو جد وزير الظاهر غازي بن صلاح الدين رحمه الله واسمه محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين الطغرائي ولقبه نظام الدين » .

وللطغرائي ابن اخت هو مخلص الدين ، كان كاتب سنجر (ياقوت ٦ : ٢٠٨) .

وفي الموصل اليوم مسجد يسمى مسجد الطغرائي (ينظر داود جليبي) .

(٥٥) ديوان الطغرائي ص ٥٢ ، ١٣١ .

(٥٦) روضات ٢٤٨ .

(٥٧) العماد ، ابن الاثير ، ابن خلكان .

(٥٨) العماد في الخريدة (ينظر غيث ١ : ٨ ، عود الشباب و ١٩ أ) ،

وأصبح « الشهيد » من بعض ألقابه ، تنظر مخطوطة المتحف البريطاني ٧٥٣٠ .

(٥٩) المرأة ، عيون الاخبار ج ١٢ .

الطغرائي « فاضلا ، واسع الاطلاع ، قديما من بقايا السيوف في المملكة » (٦٠) ،
وقد قال منذ عام ٥٠٥ :

ما كنت أوتر أن يمتد بي زمني حتى أرى دولة الاوغاد والسفل
تقدمتني اناس كان شوطهم وراء خطوي اذ أمشي على مهل
وفهم السميري الايات على انها تعريض به (٦١) ، وليس ذلك بعيد
جدا ، فقد كان الطغرائي يحتقره ويستصغره (٦٢) .
ولما كان المصاف ، خاف أعداء الطغرائي (٦٣) وخشوا اقبال السلطان
عليه (٦٤) فكادوا له ودسوا حتى رموه بالاحاد (٦٥) وعملوا على قتله ، واعتمدوا
هذه الحجة (٦٦) ، وما كانوا لينجحوا لو لم تلق دعاوتهم هوى من قلب السلطان
محمود الذي كان ينقم على الطغرائي موقفه وتحريضه أخاه عليه (٦٧) .

- (٦٠) العماد في النصرة وعنة في الزبدة .
- (٦١) المرأة ، مخ . باريس ٥٩٦-٥٩٩ » ٠٠٠ . ويقال ان السميري انما
قتله لهذه الايات لانه عرض به « .
- (٦٢) المرأة ٨ : ٥٧ (ط . شيكاغو) .
- (٦٣) النصرة و ١٣٩ أ - ١٤٠ ب .
- (٦٤) النصرة و ١٣٩ أ ، مختصر الوفيات و ٣٩ أ .
- (٦٥) عيون الاخبار ج ١٢ مخ . اكسفورد .
- (٦٦) ابن خلكان .

(٦٧) ذكر سبط ابن الجوزي في المرأة ٨ : ٥٦ (شيكاغو ، وتنظر حيدر
آباد) : « وكان السلطان محمود قد نسب خروج أخيه مسعود الى الطغرائي ٠٠٠
حكى ابن السمعاني في الذيل أن السلطان محمودا ٠٠٠ جلس يوما في قصر فيه
عصافير فقال : آذتنا هذه العصافير . فقال له خواصه : يأمر السلطان بعض
الفراسين يصعد اليها بسلم فيرمي أعشاشها ، أو يأمر بعض الغلمان أن يرميها
بالبنادق . فقال : ما أستحل ذلك . ف قيل له : فكيف استحللت قتل ٠٠٠
الطغرائي مع شيخوخته وفضله ! فقال ما مع الفضل فضول ، يعني أنه أوقع
بينه وبين أخيه ٠٠٠ » .

وينظر ابن جماعة و ٧٥ ، وربما فهم منه أن ابن السمعاني أخذها عن
عبد الرحمن بن الاخوة ٠٠٠ ويظهر أن ابن النجار قد أعاد روايتها .
ويبدو أن مقتل الطغرائي كان مصدرا للخيال وعرضة للروايات : فقد ذكر
ياقوت في الارشاد : « وروي أنه لما عزم السلطان محمود على قتل الطغرائي أمر به
أن يشد الى شجرة وأن يقف تجاهه جماعة بالسهم ، وأن يقف انسان خلف
شجرة يكتب ما يقول . وقال لاصحاب السهام لا ترموه حتى أشير اليكم فوقفوا =

= والسهام مفوقة لرميه فأنشد الطغرائي في تلك الحال :

ولقد أقول لمن يسدد سهمه	نحوي وأطراف المنية شرع
والموت في لحظات أحور طرفه	دونني وقلبي دونه يتقطع
بالله فتش عن فؤادي هل يرى	فيه لغير هوى الأحبة موضع
أهون به لو لم يكن في طيه	عهد الحبيب وسره المستودع

فرق له وأمر باطلاقه ، ثم ان الوزير - السميرمي - أغراه بقتله بعد حين ، فقتله .
وقد ذكر الصفدي ايضا هذه الرواية في الغيث ج ١ ص ٨ فقال « أخبرني العالم العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري بالقاهرة المحروسة ، أن الطغرائي ، لما عزم أخو مخدومه على قتله أمر به ٠٠٠ الخ » وعلق الصفدي : « قلت ما هذا الاثبات جنان في ثبوت جنون ، لقد أربى هذا في الثبات والشجاعة وعدم الالتفات الى الحياة ونفاذها والوفاء بشرط المحبة والذكرى لمحجوبه في السراء والضراء على عنتره العبسي وغيره ممن تبعه من الشعراء في قوله : ولقد ذكرتك ٠٠٠ الخ » .

وذكرها - على صورة اخرى ابن أبي حجلة المتوفى عام ٧٢٥ في كتابه ديوان الصبابة ص ١١٠ اذ قال : « ٠٠٠ ولما عزم ٠٠٠ على قتله بعد أن قيل له عنه أشياء من جملتها أنه يحب المملوك الفلاني من ممالك السلطان ممن كان السلطان يحبه ويميل اليه ٠٠ وأخبرني من حكى هذه الحكاية من أهل الادب ان أول من فوق اليه السهم المملوك المتيم هو بحبه فأنشد في تلك الحالة ٠٠٠ ولقد أقول ٠٠٠ » .

ورواها الشيخ داود الانطاكي (من أعيان القرن الحادي عشر) فقال في كتابه « تزيين الاسواق بتفصيل أحوال العشاق » ٢١٨-٢١٩ « ٠٠٠ وامام هذا الشأن - أي الملازمة على ذكر المحبوب عند نزول البلاء - والتفرد في هذا الميدان ، الطغرائي . قيل انه علق مملوكا لمؤيد الدين [الصحيح : للسلطان محمود ٠٠٠] كان يهواه فحين بلغه نقم على الطغرائي فأراد قتله .

يفت في عضد هذه الروايات تأخر عهدها وما فيها من « تمريض » ومن عبث في ذكر الاسباب والمسببات ومن جهل بشيخوخة الطغرائي ومطامحه ومن اعتباط في اطلاق الاحكام وسخاء في بذل الاعجاب .

ومن المناسب أن نذكر أن الابيات : ولقد أقول ٠٠٠ قد نظمت قبل هذه الحادثة ، فقد جاء على الورقة ٧٥ من تعليقة ابن جماعة عن ابن أبي روح الهروي قال حدثنا أبو سعيد السمعاني قال أنشدنا أبو طاهر محمد العقيلي [عن] محمد بن منصور العروضي قال أنشدنا الاستاذ أبو اسماعيل الليثي لنفسه : ولقد أقول ٠٠٠ » .

آثاره

للطغرائي ديوان شعر جمعه بنفسه ، وسمعه منه وقرأه عليه سديد الدولة ابن الانباري^(٦٨) وأبو بكر عبدالله بن علي المارستاني ، وروى عنه مقتطفات وقصائد الامير أسامة بن منقذ وابن الشجري وابن الاخوة والامام محمد ابن الهيثم^(٦٩) .

وقد وصف السمعاني الديوان بأنه جيد ، وقال : سبط ابن الجوزي انه مشهور . وما زالت منه نسخ خطية في أكثر مكتبات العالم^(٧٠) .

ويمكن تبويب ما وقفنا عليه من مخطوطات هذا الديوان على عائلتين - ليس بينهما فرق كبير - .

أ - النسخ التي تتبع نظام حروف الهجاء للقوافي ، ومنها :

١ - مخطوطة القاهرة ، رقم ٧٩١٧ ، أدب - دار الكتب .

٢ - مخطوطة لندن ، رقم ٧٥٥٨ ، (المتحف البريطاني) .

وتبدأ مقدمة هذه العائلة بـ « كتب الاجل مؤيد الدين أبو اسماعيل الحسين ابن علي بن محمد - رحمه الله - الى بعض من التمس منه أشعاره : قد انتهيت الى ما اقترحه الشيخ الامام - أدام الله نعمته ، وتحملت في جنب رضاه التعرض لنقد النقد ، وخف عليّ في الامثال له الكشف لجهاذة الكلام ... وأثبت طرفا مما علق بحفظي من المقاطيع المتفرقة والقصائد ، على تهافت أجزائها واختلاف نظامها وقلة الثمرن لها وفور الرغبة في الاشتغال بتهذيبها ... » .

(٦٨) الصفدي في الوافي ٣ : ٢٧٩ .

(٦٩) تنظر التعليقة ، ومختصر الوفيات و ٣٩ ب ، والصفدي في

الغيث ١ : ٧ .

(٧٠) ينظر بروكلمان ودائرة المعارف الاسلامية وقائمة المصادر من

هذا الكتاب .

ب - النسخ التي كادت تكون مرتبة حسب الموضوعات : المديح ، الشكوى ،
الثناء ، الغزل ، الوصف ... الخ . ومنها :

١ - مخطوطة راغب باشا المحفوظة بمكتبة استانبول ، رقم ١١٠٧ .

٢ - مخطوطة القاهرة ، رقم ١٥٢٨ ، أدب - دار الكتب .

٣ - مخطوطة الاسكوريال باسبانيا ، رقم ٣٠٤ .

٤ - مخطوطة الجامعة الاميركية في بيروت Ms. 892.71 T64d A

ومقدمة هذه العائلة تشبه مقدمة العائلة الاولى (دون أن تحتوي على السطر
الاول منها) . ولكنها تضم القصيدة التونية التي مدح الشاعر بها الملك مسعودا
الذي استوزره عام ٥١٣ :

نظري الى لمع الوميض حنين وتنفسي لصبا الاصيل أنين
وفي هذا ما يدل على أن ديوان هذه العائلة (ب) ، جمع في أقل تقدير
- بعد هذا التاريخ . وربما كان في ذلك ما يؤيد الحاج خليفة الذي قال - وهو
وتضم نسخ هذه العائلة قصيدة الطغرائي التي قالها أيام نكبة معين الملك :
« اقول وصرف الدهر ... » .

يتحدث عن ديوان الطغرائي - : « جمعه بعض أحفاده » .
وفي نسخ هذه العائلة (ب) « عدا نسخة بيروت » نجد مقطوعة من خمسة
أبيات غزلية مطلعها :

خذا من صبا نجد أمانا لقلبه فقد كاد رياه يطير بلبه^(٧١)
وحشر المقطوعة خطأ لا غبار عليه ، لأنها من شعر ابن الخياط^(٧٢) ، على رأس
قصيدة طويلة^(٧٣) قال عنها ابن خلكان : لو لم يكن له الاها لكفاه^(٧٤) .

(٧١) ديوان الطغرائي المطبوع ص ٩٧ .
(٧٢) أبو عبدالله أحمد بن محمد ... الدمشقي التغلبي ، ولد عام ٤٥٠
بدمشق وتوفي بها عام ٥١٧ (ينظر ابن خلكان ١ : ٧٩-٨٠ ، وتنظر مجلة المجمع
العلمي العربي بدمشق ج ٣٣) ، طبع ديوانه في النجف سنة ١٣٤٣ ، ثم
بطبعة جديدة محققة بدمشق تتقدمها هذه الدراسة التي نشرتها مجلة المجمع
العلمي العربي .
(٧٣) ديوان ابن الخياط ص ٧-١٣ . من ط . النجف ، ٧١-٧٧ من
ط . دمشق . (٧٤) ابن خلكان ١ : ٧٩ .

وقد طبع ديوان الطغرائي عام ١٣٠٠ في القسطنطينية - بمطبعة الجوائب^(٧٥) ، ويمكن القول بأن هذا الطبع قد تم على نسخة من مخطوطات العائلة (ب) - وان جاءت هذه الطبعة خالية من أبيات الغزل الغلماني التي تضمنتها المخطوطات^(٧٦) .

وعلى الرغم من الخدمة التي قدمتها هذه الطبعة فإنها خلو من كل مميزات النشر الحديث وما يقتضيه من دقة وتحقيق ومقابلة نسخ وفهارس ، أما التصحيف فحدث ولا حرج .

ولا تضم نسخ الدواوين المنظومة التي سماها الطغرائي « المقاطيع في الصنعة » (أي صنعة الكيمياء) التي أشار إليها الصفدي^(٧٧) ، وتحفظ مكتبة كلية الآداب من جامعة القاهرة بنسخة مخطوطة لها . ولم تضم الدواوين كذلك ، الأبيات التي صدر بها الطغرائي جوابه على تهنة الحريري له عام ٥٠٩^(٧٨) .
وأشهر قصائد الطغرائي هي اللامية التي مطلعها :

أصالة الرأي صانتني عن الخطل وحلية الفضل زانتني لدى العطل
وتقع في (٥٩) بيتا من البحر البسيط ، نظمها - كما رأينا - ببغداد يشكو ويصف حاله عام ٥٠٥ وقد جرد من منصبه . وأفرغ فيها كل ما كان يخامر من مشاعر وأفكار . ولا شك في أنه أعجب بها ، وارتاح إليها ، وقرأها واستعادها . وظل يرويها للمقرئين أمثال : الشهرزوري وابن السجري وابن الأخوة . والمعجبون حوله يستعيدونها و« يراوونها » ، وقد ذكرها نضا العماد وياقوت وابن خلكان وآخرون ، وأفاض الصفدي في شرحها وأطال .

(٧٥) وليس هناك أي دليل على احتمال تأييد محمد عبدالغني حسن (ص ١٤٩) من أنه طبع في الشام . ولا صحة لقول المرصفي ٢ : ٢٢٥ ، ان ديوانه طبع غير مرة . ويعد المؤلف طبعة جديدة لديوان الطغرائي .
(٧٦) لعل الناشر طواها عمدا لمعنى أخلاقي .
(٧٧) الصفدي ، الغيث ١ : ٨ ، وجاء في أعيان الشيعة ج ٢٧ ، مطبعة الاقتان ، ١٩٤٨ ص ٨٢ « ٠٠٠ وينسب إليه أشعار كثيرة في مدح أهل البيت (ع) لا توجد في ديوانه وكأنها سقطت منه » (٩)
(٧٨) ياقوت في الارشاد (ترجمة القاسم بن محمد بن الحريري) .

كان الطغرائي شاعرا كاتباً « حسن الكتابة ومالك قلم الانشاء » . ولم يكن للدولتين السلجوقية والامامية من يضاهيه في الترسل^(٧٩) . ولم يصل لنا من « نثر الدراري والدرر » الا رسالة واحدة هي - فيما نقل ياقوت - جوابه على تهئة ابن الحريري ، ومنها :

« وصلني ... كتاب اتسم بالمكرمة الغراء وابتم عن التكرمة العذراء ، فخلته كتاب الامان من الزمان ، وتلقيته كما يتلقى الانسان صحيفة الاحسان ، وقابلت ما أودع من البر والطول المبر بالشكر الذي هو جهد المقل ونسك المستقل ، ووجدت ما ألحف من التجميل واتحف عن الجميل ما كانت أطماعي تتوق اليه وآمالي تحوم حواله ... » .

والرسالة بادية التكلف لما يسمونه بالبديع ولاسيما الجناس والسجع ، وكان هذا التكلف ذوق العصر ونمط كتابته الرفيع وكأنه الغاية الاولى ، أما الغرض الذي حررت من أجله الرسالة فليس بالمهم ولا بأس في أن يتوارى خلف التزاويق ، حتى انك لا تكاد تعرف أهي من الطغرائي الى الحريري أم انها من الحريري الى الطغرائي ، ولعل الأولى بها أن تكون صادرة عن الحريري .

ولم يقف الطغرائي عند الشعر والنثر ، فقد كان واسع المعرفة ، مبرزا في مختلف فنونها ، وقد كرس غير قليل من همه للكيمياء^(٨٠) ، واشتغل فيها

(٧٩) الصفدي عن العماد ١ : ٧ ، وينظر ابن خلكان ، وقد مرت معنا ، وينظر الارشاد ، وعود الشباب و ٧٨ ، وتنمة الخبر « ... سوى أمين الملك أبي نصر بن أبي حفص من أهل أصفهان لتقدمه ، لكن برز عليه في فنون العلم وحسن الاستعارة في النثر والنظم ، سلك المذهب وأبدع المعنى المذهب ... » ومنه « تشرفت به الدولة السلجقية وتشوفت اليه المملكة الايوبية » . وجاء في عود الشباب عن أمين الملك ... انه « كان من محاسن الزمان و ... كان منشئ الدولة السلجقية حين غصنها وريق ... ذكره الباخريزي في الدمية ... » .

(٨٠) قال ابن خلدون : علم الكيمياء : علم ينظر في المادة التي يتم بها كون الذهب والفضة بالصناعة ويشرح العمل الذي يوصل الى ذلك ... وفي زعمهم أنه يخرج بهذه الصناعات كلها جسم طبيعي يسمونه الاكسير وأنه يلقي منه على الجسم المعدني المستعد لقبول صورة الذهب أو الفضة ... فيعود ذهباً ابريزاً ...

حتى عد من شيوخها وأئمتها^(٨١) ، وظل المعنيون بهذا « العلم » يذكرونه باعجاب وتمجيد . روى العماد قال « حدثني الامام محمد بن الهيثم بأصفهان عنه أنه كشف بذكائه سر الكيمياء المرموز واستخرج معناه المكنوز »^(٨٢) . وهذه الرواية تسجيم وما ادعاه الطفرائي في شعره^(٨٣) .

وله في الكيمياء « تصانيف وهي معتبرة عند أربابها منها كتاب مفاتيح الرحمة وجامع الاسرار وكتاب مصابيح الحكمة وكتاب تراكيب الانوار ، ورسالة وسمها بذات الفوائد وكتاب حقائق الاستشهادات بين فيه اثبات صناعة الكيمياء والرد على ابن سينا في ابطالها بمقدمات من كتاب الشفاء »^(٨٤) .

والطفرائي فخور بمكانته من هذا العلم ، وقد قال في مقدمة أحد مؤلفاته في الكيمياء : « ولما علمت أن العلم أحرص شيء الى نفسي تحققت أن لا يناله أحد من غير أهله ولا أبناء جينسه فألفت في ذلك كتابا لم يسمح الدهر بمثلها . ولما فرغت منها عن لي أن أجعل كتابا في ذلك جامعا لذلك الفن على العموم والشمول

(٨١) ابن خلدون في المقدمة ، علم الكيمياء ص ٥٠٤ من المقدمة ، مط . مصطفى محمد .

(٨٢) ياقوت في الارشاد ، الصفدي في الغيث ، العماد في مختصر علي رضائي للخريدة (عود الشباب و ٧٨ ب) .
(٨٣) الديوان ص ٧٩ .

(٨٤) ياقوت ، الصفدي ، وينظر فهرس المكتبة الوطنية ببائيس وفهرس مكتبات ايران وغيرهما . وفي أسماء هذه الكتب اختلاف ، ويفهم من مخطوطة مكتبة مجلس ملي بطهران ، رقم ٧٣٠ ومن مقدمة المؤلف نفسه ان « مفاتيح الرحمة وأسرار الحكمة كتاب واحد : الاول جزؤه الاول والثاني جزؤه الثاني . وكتب على غلاف المخطوطة أن من مصنفات الطفرائي : كتاب الاحسان في علم الميزان وكتاب نهج القويم وكتاب صحيفة ناموس الحكمي في تهذيب أحجار السبعة ، وكتاب أفعال الطبيعة وأسرار الخليقة . وله كتاب الارشاد الى الاولاد (وهو رسالة بثلاث صفحات) . ولا يبعد أن تكون لكتبه نسخ اخرى في المكتات ، ولا يبعد أن تكون له كتب اخرى في الكيمياء .

وقال ابن خلدون في المقدمة ، الكيمياء : ص ٥٠٤ وامام المدونين فيها جابر ابن حيان . . . والطفرائي من حكماء المشرق المتأخرين له فيها دواوين ومناظرات مع أهلها وغيرهم من الحكماء . وتنظر ص ٥٢٥ .

ومحيطا بحل ما عز على الاوائل ذكره ، واني أعلم قطعاً أنني لو كنت في زمن افلاطون ورليسيوس واطلع على ما فعلته ونهت عليه وأظهرته للعالم من هذا الفن في هذا الكتاب لما كان يسع أحدهم الا ذبحي ولتجيل على اخراجي من هذا العالم بقتلي ، ولكنني استغفرت الله تعالى مرارا وأنا أنظر .. الاذن والارادة لابرار هذا الكتاب ... وسميته « بمفاتيح الرحمة وأسرار الحكمة » ليكون بما أودعته فيه من العلوم وأوضحته مطابقاً فحواء لاسمه ، ورتبته على مقدمة وسبعة أبواب » •

وقد ظلت هذه المؤلفات مصدراً مهما للمعنيين بهذا « العلم » يدرسونها ويتناسخونها معجبين بمجدين مؤلفها « الحكيم البارع والفيلسوف الفاضل ، والمحقق العامل » • وأهل الصنعة أكثر من تمسك بلقب « الشهيد » وكأنهم يضيفون اليه بذلك اكباراً الى اكبار • أما غيرهم فيقولون : ان تصانيفه في الكيمياء « قد ضيعت من الناس أموالاً كثيرة » (١٥) •

مَسْمُومَةُ الظُّفْرَانِ

طرق الطغرائي كل أغراض الشعر العربي التقليدي من مديح وفخر
ورثاء .. وغزل .. ووصف وحكمة . وله في كل منها مشاركة بالاتجاهات العامة
التي كانت تسير عليها ، واختلاف يميزه عن الآخرين بما يعتمد من
عناصر ذاتية ...

وقد جهز الطغرائي نفسه بالمواد الأولية للشاعر ، ووفق يعبدها اعدادا عاما
فتعلم ودرس وقرأ وحفظ .. وعمل ، اذ زاول النظم منذ صباه وبدا متمكنا من
اللغة والعروض والرصف ، وطرق هذا الغرض أو ذاك من مدح وأخوانيات
ونسب .. كمن ينتظر حادثة تهزه وتجري الدماء في الشرايين .. ويجب ،
ويعترض ذووه هذا الحب ، ولكنه استمر وثابر واجتهد حتى تزوج الفتاة التي
ملكته عليه أقطار نفسه وعاش معها أسعد عيش .

ولكن ، ما يكاد يمر عام حتى تموت الزوجة الشابة فيكي الزوج « الشاب »
مر البكاء ، ويحزن أشد الحزن ، ويفعل ما يلومه عصره أن يفعله من جزع
وبكاء ولطم وتمزيق ثياب .. ورثاء .

وتظل صورتها وهي تصارع الموت قائمة في نفسه بتفصيلاتها وبموجعات
مشاهدها :

ولم أنسها والموت يقبض كفها
ويسطها والعين ترنو وتطرق
وقد دمت أجفانها فوق خدها
جنى نرجس فيه الندى يترقق
وحل من المقدور ما كنت أتقي
وحم من المحذور ما كنت أفرق

وقيل فراق لا تلاقي بعده
ولا زاد الا حسرة وتحرق
فلو أن نفساً قبل محتوم يومها
قضت حشرات كانت النفس ترهق
هلال نوى من قبل أن تم نوره
وغصن ذوى فينانه وهو مورك

يسليه الناس فلا يسلو ، ولا يجد العزاء الا بقبرها ، يزوره ويبكي
عنده ويقبله ويلصقه بصدرة فينسى الدنيا ويجد نفسه في حضرة حبيته :
يكلمها وتكلمه :

ولم يبق مما بيننا غير خثوة
على العين تحشى أو على العين تطبق
أحن اليها ان تراخي مزارها
وأبكي عليها ان تدانى وأشفق
وأبلس حتى ما أبين كأنما
تدور بي الارض الفضاء وأصعق
وألصقها طورا بصدري فأشتفي
وأمسحها حيناً بكفي فتعبق
وما زرتها الا توهمت أنها
بشوبي من وجدي بها تتعلق
وأحسبها والحجب بيتي وبينها
تعي من وراء التراب قولتي فتطيق

وهذا وفاء وانسانية أدى فيهما صدق العاطفة الى صدق التصور •

ويظل الشاعر يعيد ويبيدي في أفكاره وأخباره ، وهي تتوارد عليه بين
لحظة ولحظة مفردة حيناً ، ومجموعة حيناً ، فلا غرو في أن تحتوي القصيدة

الواحدة أكثر من معنى ، ولا غرو في أن يتكرر هذا المعنى في أكثر من
قصيدة ومقطوعة •

وفي رائئة رائئة يبكي ويبكي حتى يستقل الدموع :

... أعينيَّ جودا بالدماء وأسعدا

فقد جلّ قدر الرزء عن عبرة تجري

أذم جفوني أن تضن بذخرها

وأمقت قلبي وهو يهدأ في صدري

لقد وقع الموت عليه وقع الصاعقة ، وما كان لمثله بد من البكاء ، وما كان
لمثله بد من أن يرى المصاب أسى وأجل من أن توفيه الدموع • أما اذا أغفت
الجفون ، وهذا الصدر لحظة ، ثار وغضب وطرد رسل السلو شر طردة •
وتعاوده الذكريات - لانه لم يفقد زوجة حسب ، انما فقد زوجة و« حبيبة »
هي المثل الاعلى للجمال والكمال :

بنفسي من غاليت فيها بمهجتي

وجاهي وما حازت يداي من الوفر

وغايظت فيها أهل بيتي فكلهم

بعيد الرضى يطوي الضلوع على غمر

وفزت بها من بين يأس وخيبة

كما استخرج الغواص لؤلؤة البحر

فجاءت كما جاء المنى واشتهى الهوى

كمالا ونبلا في عفاف وفي ستر

فصارت يدي ملأى وعيني قريرة

بها كيفما أصبحت في اليسر والعسر

وفي هذه الايات الخمسة خلاصة وافية كافية لقصة ختمتها يد الاقدار
فجأة فكانت مأساة روعت قلب الشاعر وأبكته دما .. وانتهى به الحزن والسخط

الى أن يقول :

ألا ليتنا لم نصطحب عمر ليلة

ولم نجتمع من قبل هذا على قدر

وهذه أمنية عجيبة من رجل حزين كل الحزن ، محب كل الحب .. فكيف
يجتمع الحب وتمنى البعاد ، وكيف يجتمع حبه وتمنيه ألا يكون؟! الجواب
سهل . فالأمنية ساذجة ، وعمقها في سذاجتها ، وهي حالة تعترى الاطفال ،
وتعترى الامهات ، وتعترى الاحبة ، ويقع التمني عفوا ، ولا يقصد به الى الحقيقة ،
ومن البلادة أن يفهم على ظاهره ، وأقل ما يكذبه أبيات قبله وأبيات بعده ، فهو
تمن يخرج الى اقرار جسامته المصاب وشدة البلاء ... وشدة السعادة التي كان
عليها يوم هياتها زوجة صالحة ، طيبة .. محبة محبوبة :

بنا أنت من مهجورة لم أرد لها

فراقا ولم تطو الضلوع على هجر

طلعت طلوع البدر ليلة تمه

وفقت كما أربى على الانجم الزهر

وآنستا حتى اذا ما بهرتنا

سنىّ وسناء ، غبت غيوبة البدر

وقد كان ربعي أهلا بك مدة

أحن اليه حنة الطير للوكر

وآوي اليه وهو روضة جنة

بدائعها يختلن في حلال حمر

فمذ بنت عنه صار أوحش من لظى

وأضيق من قبر وأجذب من قفر

ويجن جنونه ، ويبحث في الاسباب والعلل ، ويسأل لماذا؟ وكيف؟ فيجد

الجواب حاضرا :

وما كنت الا نعمة الله لم تدم
عليَّ لعجزني عن قيامي بالشكر
وهو تعليل أدبي شعري ، ولكنه يرضى صاحبه ويرضى حيرته الطاغية •
ولاسيما ان غيابها عن العين لم يمنع حضورها في القلب :
برغمي خلا ربمي وأسكنت خاطري
وغيت عن عيني وأحضرت في فكري

ولئن فقدتها في الدار الدنيا فانه ليدعو الله مخلصا أن يجمع الشمل
ويجعلها من نصيبه في الدار الآخرة •

وهكذا تكون هذه الرائية تسجيلا شعريا للحالات النفسية التي اعترت
الشاعر المفجوع • وكان الحزن العميق مسيطرا •• بدأ عنيفا ، وكاد يغير
المجرى عندما تذكر الشاعر أيام ما قبل الزواج وأيام ما بعده ، ولو استمر في هذه
الذكريات العذاب لنسي مصابه ، وهيهات ، ولا أدل على بعد ذلك من عودته الى
البكاء والسهر ، ومن تمنيه الجهل بها وتمنيه الموت من أجلها ، وكاد اليأس يقتله
لو لم تأخذ ذكرى أيام الحياة الزوجية السعيدة طريقها الى مخيلته فتشغله لحظات
اخرى عن حاضره وتعمل على الرجوع به الى الماضي القريب ، ولكن هذا الماضي
لم يلبث حتى جسم له فداحة الحاضر وفداحة الخسارة ، وكاد يبدأ مناحة جديدة
لو لم تكن الموجة قد قاربت الشاطئ فهدأ عنفوانها فنهض العقل يعزى ويخفف ،
حتى أحس الشاعر أنه يقترب من السلو ، ورأى نفسه ملزما بتبرير هذا السلو ،
وقد وجده في الضرورات :

فان سكنت نفسي الى سكن لها
سواك مدى عمري فقد بؤت بالكفر
وان أسل يوما عنك ، أسل ضرورة
والا فاني عن قريب على الاثر

وما ان مرت الايام حتى غلب العقل ، وتغلبت المبررات ، فاذا
صاحبنا يتزوج .

اي والله ! تزوج وأنجب الولد ! ولا يكاد المرء يسمع هذه النتيجة حتى
يأسف ، وقد يضحك ، وقد يتهم الرجل بالكذب واقتعال الحزن .. وهذا المرء
الذي يضحك ويتهم ، يعتقد أنه خير من الطغرائي ، ويريد من الطغرائي ما يريده
للرجل المثالي في الثبات على الحب والدوام على الذكرى ، ويتصور أن حالات
النفس الانسانية مطردة .. ولا أخاله مصيبا في كل ذلك . بل ان زواج الطغرائي
لا يعني حتما السلو التام والنسيان المطلق .

ان زواجه في هذه المرة زواج فقط ، بينما كان في المرة الاولى زواجا
وجبا - والفرق بين^(١) .

ولهذا الزواج ضروراته ، ولنا أن تصور من هذه الضرورات : البيت الذي
لا بد لمثله وهو على ما كان عليه ، وعلى ما يود أن يكون عليه ، فهو رجل مجتمع

(١) ثم كم هم الشعراء الذين رثوا زوجاتهم في الادب العربي ؟! قليلون ،
وقد يكون أشهرهم جرير صاحب :

لولا الحياء لها جني استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

وها أنت ذا تراها مبدوءة بـ « لولا » ، أما الطغرائي فقد هاجه الاستعبار
فبكى وزار القبر ... ثم ما الذي دفع جريرا الى أن ينسى زوجته بعد الابيات
القليلة الاولى من قصيدته ليخصص الباقي - وهو كثير جدا - لشتم الفرزدق
وشتم جعثن !

أما الفرزدق فموقفه أمرٌ وأدهى ويكفي ان النساء بكت امرأته بشعر جرير .
وقد أجاد مسلم بن الوليد البكاء وأخلص فيه الا أنه لم يختص اختصاص
الطغرائي ، وانه فقد زوجته في شيخوخته وأخريات أيامه ... أما ابن الزيات
فلا يبلغ مبلغ الطغرائي وكان ألمه « للطفل » أكثر من ألمه للمرأة الفقيد .
ويطلع العصر الحديث ، عصر انصاف المرأة وتحريرها ، ويقول الشعراء
رثاء : فللبارودي قصيدة ، وللجواهري قصيدة . ولعزير أباظة ديوان ولعبد
الرحمن صدقي ديوان ... والعواطف في كل هذه الاشعار صادقة نبيلة ، ولكن
الطغرائي يحتفظ بمكانه المرموق في بكاء الزوجات .
ومما يذكر أن أكثر الشعراء المعاصرين لم يلبثوا أن تزوجوا ثانية .

يزور ويزار ، أو انه - في أقل تقدير - يريد أن يزور ويزار ، ويريد أن يشغل مكانا في سياسة عصره ، وقد حدثته نفسه بأشياء كثيرة من شؤون المجد ، فلا بد له من أن يشغل ديوانا ، ولا بد من أن ينال وزارة .. أو أكثر . ومن المحتمل أن يكون هذا الطماح وهذه الاشياء الكثيرة التي ستلقي به في خضم الحياة السياسية بعض ما أنساه وقع مصابه بوفاة زوجه .

ولئن كان المديح مذهبا بارزا في الشعر العربي ، ومذهبا سائدا في العصر السلجوقي ، ان دواعيه أشد لدى شاعر يتخذ وسيلة لغاية أبعد ، هي طماحه الى التقدم في مدارج مناصب الدولة ، وقد كان هذا الطماح مفتاح شخصية الشاعر ، وانك اذا تصفحت الديوان لا تكاد تجد مدحا من أجل المال أو اللباس أو الارض كما تجد في أكثر دواوين معاصريه . واذا دل هذا على « الحال النحسة » فانه ليدل كذلك ، وأكثر من ذلك ، على أن مطلب الطغرائي في الحياة أكبر من الشعب والري .

أحس « الحسين » بهذه الرغبة ملحة في نفسه ، وآمن بأن له ما يحققها ، من علم و « بيت » ، يساعده في ذلك عصر - على اضطرابه ولاضطرابه - يفتح صدره لمن يسعى في الدخول الى قلبه . ويسهل مهمته كونه من أصبهان ، وأصبهان مقر خطير من مواطن السلطة ، حتى لتكاد تكون عاصمة السلطنة - ان لم تكنها - واذاً فهو قريب من مبتغاه .

وها هوذا يبدأ - كما يجب أن يبدأ أمثاله - بالتقرب من معين الملك فضل الله ، ويفلح .

والتاريخ - كما رأينا - بخيل تمام البخل في الحديث عن معين الملك ، ولكن الطغرائي جلا لنا منزلة هذا الرجل ، وبين نفوذه وسلطانه وخلقه ، وذكر انه يستطيع أن يقدم ويؤخر في الدولة ، وان الناس يسمعون للتقرب منه ، ومنهم من ينافقه ومنهم من يدعي حبه ويصنع له بالولاء .

وفي طيات صلة الطغرائي بمعين الملك ، وثنايا قصيدة قالها لمناسبة من
أطوار هذه الصلة وصف لنا « المعين » وصفاً يجعل منه وثيقة تاريخية نادرة :
بعيد مناط الهم ، أروع لم يكن
لتملاً جنيته الخطوب الروائع
خفي مدرب الكيد لا يستشفه
ليب ولا يفضي اليه مخادع
ولو شدة عن حكم المقادير كائن
لما درت الاقدار ما هو صانع
طلوب لغايات المكارم مجمع
على الهم ثبت الرأي يقظان جامع
صؤول اذا ما الخوف أرعد أهله
قؤول اذا التفت عليه المجمع
اذا لاح فالابصار حيرى شواخص
وان صال فالاعناق ميل خواضع
فلا يشغل الابصار الا بهاؤه
ولا ترعوي الا اليه المسامع
يلاحظ أعقاب الامور كأنما
يداهيه من دون الغيوب طلائع
فلا صدره في أزمة الخطب ضيق
ولا عرفه عن طالب الفضل شاسع

وفي هذه الايات موجز بليغ في تحديد ابعاد شخصية معين الملك وبيان
أهميته وتعيين مزاياه في حالة الرضى والغضب ، الحرب والسلم ، ثم انه داهية
- مما هو شرط لابد منه للسياسي - لاسيما في زمانه .

ولا يمكن أن تكون هذه الايات كلاماً مجرداً وانها مدحة ماذح ، لما فيها من
دلائل الصدق وعلامات « الحرارة » والمقنعات التي تبين ان الشاعر يصف ما وقعت
عليه عينه وامتألت به نفسه ، ولقد رأى رجلاً جمع أمثل صفات « الشخصية

البارزة « المطلوبة آنذاك » .

ان هذه الايات قطعة حية ، ترى الى جوارها الاسطر التي رواها التاريخ باهتة ضئيلة ، حتى اذا قال التاريخ ان معين الملك أو سيد الرؤساء - كما يسميه - قد « بلغت مرتبته من اصطفاء السلطان اياه الى غاية لم يبلغها أنيس » عرفنا قيمة الوثيقة التي قدمها الطغرائي ، وعلما انه لم يكذب وانما فصل ما أوجزه التاريخ ، واستدرك على ما فاته .

ويقدمه معين الملك الى نظام الملك - أكبر صدور العصر . فيمدح المعين ويمدح النظام .

وعندما سجن معين الملك أخلص له وأقام على ذكره ، فقد حزن حزنا شديدا ، وذاد عنه وأقام يعزيه ويصف تخلي الناس عنه وشماته الاعداء به . ويستعيد صورا من مجده ويروي طرفا من محامده وأخباره :

أمرَ بذاك الربيع وهو رياحه
معطلة أعلامه والمعاهد

عهدناه دهرنا بالوفود معطلا

يزاحم فيه الاقربين الاباعد

مواسم جود ما تغب وفودها
اذا خف منها راحل حط وافد

اذا سام فيها المعتدون ، مراتع

وان عاث فيها المعتدون ، مآسد

معارك ناس في مآلف صبوة

تجمع فيهن المعالي الشوارد

تغمغم أبطال وتسهل قرح

وتصخب أوتار وتروى قصائد

ثم يأمل عودته الى سابق عزه ، اذ لا غنى للحكم عنه :

ستذكره ذكر الطريد محله

عرى الملك منجلا بهن المعاهد

وتقتقر الدنيا الى رأيه الذي

يرد اليه في الامور المقاليد

ويبلغه الاقبال ما هو ضامن

وينجز فيه الجد ما هو واعد

وتعذر الايام بعد اساءة

فيصحب منفور ويصلح فاسد

بقي الشاعر مخلصا حيناً ثم خضع لمقتضيات سياسة العصر ولزم نظام الملك .

وقد حدثنا عن الوزير ونفعنا بحديثه .

ونظام الملك في شعر الطغرائي : أبيض أخلاقه غر ، رهطه من صيابة

الفرس ، يقول ويفعل ، شجاع حازم ، فاتح :

رمى بنواصيها الفرات فأقبلت

مغنية الاعطاف تلح الناكب

وخاض بها جيحان يلطم موجه

ملاطمة الخصم الألد المشاغب

خميس أقاصي الشرق ترزم تحته

وترتج منه أخريات المغارب

ويتكرر خبر الفتح :

وما راع أهل الشام الا اطلاعها

رقاق الظبي والمقربات السلاهيـب

ولما رأتها الروم أيقن أنها
سحاب لها ودق من الدم مسكوب
وما طلعت الا وفي كل نزعة
بها منبر الدين الحنفي منصوب
وكم لك فيهم وقعة بعد وقعة

جمعت بها الاهواء وهي أساليب
ولئن جاء هذا الكلام بأسلوب الشعراء ، فانه في خلاصته حقيقة يؤيدها
التاريخ ، ولئن اتسعت رقعة المملكة في عهد السلطانين : ألب أرسلان وملكشاه
فان مرد ذلك الى أسباب من أهمها حزم نظام الملك وشجاعته وتديره ودهاؤه .
ولم ينس الطغرائي أن يسجل هذا ، ولم ينس أن ينص على الكيد فقال :
خفي مدب الكيد يكتم سخطه

رضاء ويسقي السم في مجة النحل
وهذا الكيد شرط في سياسة العصر وشرط للنجاح فيها ، وهو صفة من
صفات اخرى توفرت لنظام الملك فأسند الملك وحفظه ، ولم يكن الشاعر كاذبا
حين قال :

به اعتدل الملك الذي مال ركنه
ومادت غصون العيش موقرة الحمل

فذلك ما يؤيده التاريخ ، وما كان يحس به الوزير نفسه ، وما لا يجهله
السلطين أنفسهم ، انما الذي يجدر علمه هو أن الطغرائي لم يقرر هذه الحقيقة
لذاتها ، لانه رجل لا يمدح للمدح ... وانما يمدح من أجل غايته ، فهو بين
شاكر على نعمة ، وراج لفضل ، ولا غرو فقد كان نظام الملك كل شيء في
عصره ، وكان أكثر من ذلك برأي الشاعر الذي خاطبه بقوله :

بك اقتدت الايام في حسناتها
وسيمتها لولاك هم وتكريب

فلا رزق الا من نوالك مجتنى
ولا عمر الا من عطايك محسوب

وكان لنظام الملك - فيمن له - ابن هو مؤيد الملك ، وهو كبير أيام حياة أبيه ، وكبير بعد حياة أبيه ، ومثله لا يخفى على الطفرائي ، فهو وسيلة اخرى يستعين بها على « قضاء حوائجه » واذا فليمدحه •

وفي شعر الطفرائي الذي رفعه الى مؤيد الملك فوائد ودلائل ، وقد بدأها بالاستعطاف والاستمالة - كما هو طبعي :

تطاردني الايام عما أريده
وألوى بموعود الضمان فأفزع
أما درت الايام أنني في حمى
ولي « أمير المؤمنين » ممنع

★ ★ ★

عناد نظام الملك للخطب يتقى
وللملك يستبقى وللحق يتبع

وقد نال لديه الحظوة •

ولكن الذي « لا يمدح للمدح » لا ينجو من التناقض ، ولا ينجو من أن يقع في فخ لم يرد لنفسه أن تقع فيه •

وهذا ما حدث لابي اسماعيل ، فانه بعد اطرائه مؤيد الملك ، أبصر صدرا جديدا يعلو نجمه فيزحم نجم مؤيد الملك ويكاد يكسفه • وفي نظرة من الطفرائي الى « مصلحته » والى « الظرف الراهن » حسب أن الدنيا أصبحت في قبضة « مجد الملك » ، فانصرف اليه يمدحه ويثني عليه بما هو أهله ، وبما يحتمل أن يكونه من تدبير الملك وقمع البغي وسياسة الانام :

ذاك الذي خضعت لطاعته
صيد الملوك وأذعن القلب

في فترة تسي الحلوم بها
وتشابه المربوب والرب

ولهذا شيء من ظل في التاريخ ، ولكن الطغرائي يزيد :

في راحتك الرزق والاجل
وبعزمتك الامن والوجل

يزيد ، لانه يشكر ، ويشكر لانه حصل على شيء ويطمع بأشياء •

وتقع الواقعة ، ويقتل مجد الملك ، ولم يبق أمام الطغرائي الا الرجوع الى
مؤيد الملك ، ولئن كان الطريق شائكا ، فهناك الاعتراف بخطل رأيه ثم الاعتذار
بما روج الواشي واختلق ثم العتاب بما كان له من الخدمة وما له من الفضل •

ولم تكن القطيعة قصيرة ، ولعلها دامت أكثر من « عام وعام » • وقد
بذل الشاعر جهده في اعادة الماضي الى ما كان عليه ، وفي اعادة مؤيد الملك الى
احسانه واكرامه • ودل الشاعر على أنه يحسن العتاب والاعتذار ، وأعرب عن
شدة وقع هذه الحادثة في نفسه • وكان من ذلك قوله :

وأبلغ اما وجهه حين يجتلي
فشمس واما كفه فقمام

جرى طائري منه سنيحا وعلني
بدر آياد ما لهن فطام

وأنزلني منه بالطف منزل
كما مزجت بابن القمام مدام

شردت عليه غير جاحد نعمة
 أكلف خسفا بعده وأسام
 وقد يسلب الرأي الفتى وهو حازم
 وينبو غرار السيف وهو حسام
 فقد وجد الواشون سوقا ونفقوا
 بضائع زور ما لهن دوام
 فأصبح شمل الانس وهو مبدد
 لديه وجبل القرب وهو رمام
 يقرب دوني من شهدت وغيوا
 ويوصل قبلي من سهرت وناموا
 تراور حتى ما يرجى التفاته
 وأعرض حتى ما يرد سلام
 فلا عطف الا سخطه وتسكر
 ولا رد الا ضجرة وسئام
 فان يك رأى زل أو قدر جرى
 بنازلة فيها عليّ ملام
 فوالله ما فارقت فيك خيانة
 أعاب بها في محفل وأدام
 ولا قرّ لي بعد التفرق مضجع
 ولا طاب لي بعد الرحيل مقام
 * * *
 اتبعد حتى ليس في العفو مطمع
 وتعرض حتى ما تكاد ترام
 * * *
 ألم ألق فيك الأسر وهو مبرح
 وألتذ طعم الموت وهو زؤام

واستعرض في أماديجه واعتذاراته طرفا من أخلاقه وأعماله ، وأبان عن
مكائنه ومنزلته ، وأعلن عن انتصاره على « المتمردين » وعن تمكنه من سحق
« الغادرين » :

فقل للذين استعذبوا الغدر مشربا
رويدا فمرعى الغادرين وييل
أديروا كؤوس الراح ان وراءها
كؤوسا من السم الزعاف تقول

★ ★ ★

ستغرى بأطراف البنان نواجذ
إذا التف يوما بالرعيل رعيل

★ ★ ★

فلوذوا بحقو العفو منه فانه
جواد به حتى يقال غفول
وان غلبتكم شقوة الجدد فاعلموا
بأن ديار الناكثين طول

وقد أضع التاريخ كثيرا من هذه الاخبار وهذه التفصيلات .

ونجح الشاعر في مسعاه للحظوة لدى مؤيد الملك ، كما نجح في
الحصول على العفو ، والعودة الى سابق الاكرام - الذي عكزه ميله الى مجد الملك
حيناً - ولا أدل على ذلك من رثائه الوزير وقد قتل عام ٤٩٤ فبكاه بكاء فيه جرأة
وصدق واخلاص :

ما بعد يومك للحزين الموجد
غير العويل وأنة المتفجع

وسجل من دقائق المعركة ومشاهدها ما لم يحفظه التاريخ :

... هذا « عيдалله » أسلمه الأولى

ضمنوا الثبات لكل خطب مظلم

خاضوا به الغمرات ثم تخاذلوا

وتقاعسوا عنه دوين المصراع

وتسرعوا نحو اللقاء وخلفوا

في النقع ثبت الجأش لم يتسرع ...

ويضم ديوان الطغرائي من مديح الصدور أكر مما يضم من مديح السلاطين ، ومن أسباب هذا ، أن الطغرائي بدأ في سعيه الى المنصب منهجيا متدرجا من الكتابة الى نيابة الطغراء الى الطغراء والانشاء .. ولم يكن السلطان العامل المباشر لمثل هذه الرتب ، وانما هي من « صلاحيات » معين الملك ونظام الملك ومؤيد الملك ومجد الملك ... أما السلطان فأكثر ما يعنى بكبار الامور كالوزارة ، وهي - وان كانت مبتغى أبي اسماعيل الا انها ما زالت بعيدة ، فلا يصح أن ينافس فيها نظام الملك أو مؤيد الملك ... على أنه لا مانع لديه من أن يزرع عند هذا السلطان أو ذاك مقدمات تنفعه في حاضره وتعينه في مستقبله ، ولاسيما بعد أن أصبح أصيلا في الديوان . وها هو ذا قريب من السلطان يتقلب في ديوان الطغراء والانشاء وفي « نعم » اخرى .

لقد حقق ذلك بالمدح وبالشكر وباتتهاز المناسبة للمدح والشكر ، وما دام الزمن زمن مبالغة ، وما دام المدوحون يرتاحون للمبالغة ، فليبالغ ما شاءت له المبالغة ، حتى لو استهل قصيدة بمدح ملكشاه بمثل :

لجلال قدرك تخضع الاقدار

وبيمن جددك يحكم المقدار

والدهر كيف أمرته لك طائع
والله حيث حللته لك جار

* * *

والفيلق الجرار بين يديه من
سطوات بأسك فيلق جرار

* * *

هذا هو العصر الذي سبقت به الـ
بشرى وجاء بذكره الآثار

* * *

واذا هممت جرى القضاء بما ترى
فكأنك المتحكم المختار

* * *

جردت عزمك للجهاد فقبل أن
جردت سيفك زلزل الكفار

ليقل هذا ، وما هو أكثر منه ، ما دام ذلك يقربه خطوة من الحكم . وقد
يكون للطغرائي في « مبالغاته » مبرر تاريخي من « عظمة » السلطان ملكشاه وكثرة
فتوحاته وسعة ملكه ، ولكن ما عسى مبرره أن يكون حين يقف على عتبة ملك
« طفل » في الحادية عشرة من عمره ، هو الملك مسعود الذي يحكم أتابكه
« جيوش بك » الموصل وأذربيجان ... ، يقف ويقول : انه ملك الملوك وانه :

تمشي الملوك الصيد تحت ركابه
ويظله بجناحه جبرين

* * *

يا أيها الملك الذي بجلاله
قضي القضاء وكون التكوين
مرضاته تحيي ويردى سخطه
فهما حياة للورى ومنون ...

أيقال مثل هذا لمثل مسعود ؟ أم انه كفر وبهتان ؟ ان الطغرائي لا يجهل قصر الملك ولا يجهل عجزه ، ولكنه لا ينظر اليه خلال عقله ، انما خلال هواه ، ولا أعظم لديه - ولا سيما بعد أن خيبتة بغداد^(٢) وخيبتة أصبهان - من امرىء يسير به خطوة نحو غايته • وهو اذ قصد مسعودا عام ٥١٣ ، انما قصده من أجل وزارة لم يحققها له السلطان محمود •

أما الخلفاء فطبيعي أن لا يكون لهم حظ من ديوان أبي اسماعيل ، ولم يستعين بهم وقد « عرف من أين تؤكل الكتف » ؟ والدنيا كلها - بما فيها الخليفة - بيد السلطان ووزيره • وهوى الشاعر أكبر من أن يحققه خليفة ، وأكبر من يحد بدينار أو ضيعة •

على اننا قد رأينا الطغرائي - في عامة مديحه وفي أحسنه - لا يخرج عن القصد والارادة والهدف الى ما هو أبعد من المدح والمدوح ، وعمل هذا شأنه ، أن سلم - لدرجة ما - من مجانية التاريخ فانه لا يمكن أن يكون مجال عاطفة صادقة وخيال أصيل • انما هو مهارة وصناعة يؤيدها التمكن من اللغة وتراكيبها وبلاغتها وتسندها الاستفادة من خبرات السابقين من أمثال النابغة والبحري وابن هانئ والمتنبي •

وليس من اليسير على شاعر كالطغرائي أن يهب نفسه لممدوحيه ، وليس من الممكن أن يخرج عن ذاته ، وهذا واضح بين لكل من عرف رأي الطغرائي في نفسه ، ووقف على فخره ورآه كيف يشيد فيه بكفاياته ومواهبه • ورآه كيف يطلق لنفسه العنان لتقول كل ما تريد وبكل صراحة دون احتياط (أو خجل) • وهو « عريق » في هذا الفن فقد طرقه منذ صباه (ديوانه ، ص ١٣١) • ولئن كان الفخر قديما في الشعر العربي ، ولئن كان شائعا في مختلف عصوره فان ذلك لا يحول دون الاجادة ، لان الطغرائي انما يفخر - مخلصا - بما لديه وبما

(٢) عام ٥٠٥ •

يحس به في أعماق نفسه ، ولأنه يعتمد رصيда من الحقيقة لا يقول معه
سامعه : كذبت •

وقد يفخر بأسترته وكرم محتدها إلا أن ذلك لا يؤلف اتجاهها بينا في
شعره ، ان الاتجاه اليين انما نلمسه في فخره بعلمه ، ولا يشك امرؤ في علم
الطفراني وسعته وعمقه ، ولكن الشاعر يؤكد علما بعينه هو الكيمياء ، وهذا
علم شهد له به الناس وشهدت له به مؤلفاته ، ولا يريد الطفراني أن يقف منه عند
حد ، انه ليسمح لنفسه أن تتطلق كما تريد ، وهل من ادعاء بعد قوله :

أما العلوم فقد ظفرت ببغيتي
منها فما أحتاج أن أتعلما
وعرفت أسرار الخليفة كلها
علما أنار لي البهيم المظلمما
وورثت « هرمس » سر حكمته الذي
ما زال ظناً في الغيوب مرجما
وملكت مفتاح الكنوز بحكمة
كشفت لي السر الخفي المبهما
لولا التقية كنت أظهر معجزاً
من حكمتي تشفي القلوب من العمى
أهوى التكرم والتظاهر بالذي
علمته والعقل ينهى عنهما ...

وفي باب من هذا العلم وهذا الفخر يقول كذلك :

ألا ان علما بين جنبي مودعا
يضيء ورائي نوره وأمامي
انارة علم الصادقين وما أتت
به الرسل فيه ، برء كل سقام

مفاتيح علم الله في الارض من تفز
بها يده يظفر بكل مرام
فان عشت أحور الملك لم تحو مثله
يدا ملك في العالمين همام
وان مت من قبل الوصول بحسرة
فكم حشرات في نفوس كرام

والادعاء واضح ، وقد تؤاخذ عليه ولا ترتضيه لرجل يجب أن يكون
متزنا ، ولكنك لا تنكر على الايات شاعريتها ، ولا تنكر أن الانسان قد يخرج
عن سمته ولاسيما اذا كان شاعرا • ويبدو أن الطغرائي قال هذه الايات لينفس
بها عن ضيق ألم به ، وليهرب خلالها من واقع مر ، ويعوض بما يعتقد في نفسه
عما سلبه الناس اياه من اوصاف في الرأي والمال •

وانك لو استقرت ديوان الطغرائي لاحظت أن الشاعر انما يفخر ويكثر
من الفخر عندما يؤذى ، فاذا أساء اليه الاعداء وألبوا عليه قال معلنا قدرته وحلمه
وسمو منزلته ، ناشرا في قوله أصداء القلب المكلم :

قالوا صبرت على المكروه من نفر
لو شئت حكمت فيهم كف متصر

تعدو عليك رجال لو هممت بهم
صاروا فرائس بين الناب والظفر

تفضي الى أن يقول : العجز ألزمه
ذلا ، وتصبر حتى لات مصطبر

حتى م تحلم عنهم غير متقم
والحلم ينزع أحيانا الى الخور

* * *

فقلت انهم عندي وكيدهم
كالكلب اذ بات يعوي صفحة القمر
أنى أبت لي أخلاق مهذبة
أن أسلب الحلم بين الحقد والضجر

واذا بالغوا في العدا ، جعل من نفسه الشمس سموا والنسر ارتفاعا ،
فكيف يبلغون مناطه •

ويلج بالفخر في الحالات التي يضام فيها وتضيع عليه حقوقه وتغبط خدماته
ويزهده في كفايته ، أو بكلمة أدق عندما يمس طماحه بسوء ، ولا غرو في أن
تمنخض حالات مثل هذه عن جياذ قصائده • ويبدو ان أكبر مصاب حل بآماله
كان عام ٥٠٥ هـ بمدينة السلام عندما عزل عن منصبه • والمصاب الجسيم يدفعه
الى الفخر الزائد فكأنه يتكبر عليه ويؤكد به وجوده • ولئن قال :

أصالة الرأي صاتتي عن الخطل
وحلية الفضل زانتني لدى العطل
مجدي أخيرا ومجدي أولا شرخ
والشمس رآد الضحى كالشمس في الطفل

★ ★ ★

غالى بنفسى عرفانى بقيمتها
فصنتها عن رخيص القدر مبتذل

لئن قالها ، فقد قالها ليشد من صبره بعد أن خذله الآخرون ، وليدفع عن
نفسه بعد أن أصبح موضع تهمة ، وقالها أكثر من ذلك ليملاً الفراغ الذي
أحدثه ذهاب المنصب • ولئن بدا مبالغاً ، فان مبالغته صادقة تقوم على ثقة بالنفس
ولم تخرج عن عمود الاجادة والتأثير الى ميدان المخاريق والخرافات •

ومن هذا الضرب من الفخر « المقبول » الذي يدل على الصدق والايمان

قوله في هذه الفترة (أو في فترة مشابهة) :

أبى الله أن أسمو بغير فضائلي
إذا ما سما بالمال كل مسوّد
وان كرمت قبلي أوائل أسرتي
فاني بحمد الله مبدأ سوّدي

الا أنه لا يلبث حتى يفقد وقاره ويوغل ويقول :

وما منصب الا وقدري فوقه
ولو حط رحلي فوق نسر وفرقد
ولكنه حتى في هذا ، لا يفارق دنيا الشعر • ثم يحس بعض ما يحسه الناس
عندما يسمعون مثل هذا اليت فيرهن ويررر :
إذا شرفت نفس الفتى زاد قدره
على كل أسنى منه ذكرا وأمجد

ثم يشير الى سبب من الاسباب المباشرة في استفزازه :

يكاثرنني من لا يقاس نجاده
بشسعي اذا ما ضمنني صدر مشهد

والحقيقة ان شكوى الطغرائي من المكائرين والمنافسين والاعداء ... كثيرة
وشديدة حتى ليدو وكأن الشكوى جزء لا يتجزأ من خلقه ، وهذا صحيح ،
ولكنه لم يشك لمجرد الشكوى ، ولم يتألم من الاعداء من كل نوع ... وانما
كانت الشكوى عنده ضربا من الفخر وهي تصدر غيفة و « رائعة » لانها تتصل
بطماحه وتعرب عن أهم مكونات نفسيته وأبرز مبررات وجوده ، أغني المنصب •
فاذا تززع هذا المنصب وأوشك أن ينقض صاح معتزا شاكيا :

إذا لم يكن لي في الولاية بسطة
يطول بها باعي وتسطو بها يدي

ولا كان لي حكم مطاع أجيزه
فأرغم أعدائي وأكبت حسدي
ولم يغش بابي موكب بعد موكب
مخافة ايعاد وتأميل موعد
فأروح من هذا اعتزال يصونني
صيانة مطرور الفرارين مغمد
فأعذر ان قصرت في حق مجتد
وآمن أن يعتادني كيد معدي
أأكفي ولا أكفي وتلك غضاضة
أرى دونها وقع الحسام المهند ...

ان همه ، كل همه من الدنيا ولاية وبسطة في الولاية ، ومتى أحس ببعده
هذا وابتعاده ، ساوره الغم وانتابه الاسى . وعليه ، فلا غرو ان أثارت فيه مصيبة
عام ٥٠٥ أعنف الابیات .

ومذ فقد المنصب تذكر (لاول مرة) أنه غريب في بغداد وأن له وطناً في
غيرها ، وأن عليه أن يأوى الى الراحة :

فيم الإقامة بالزوراء ، لا سكني
بها ولا ناقتي فيها ولا جملي

وتثقل عليه الإقامة ببغداد ، ويثقل عليه أهل العراق فيبدون لناظره
وكلهم مساوئ :

مللت نوائي بالعراق وملني
رفاقي وكانوا بالعراق طرابا

وبيعته فقد المنصب على الايغال في التشاؤم من البشر فيعمم الخاص •

أعدى عدوك أدنى من وثقت به

فجاذر الناس واصحبهم على دخل

وهذا منتهى التشاؤم • وقد يؤاخذ عليه مؤاخذ ممن يدعون للتفاؤل وتحسين الرأي بالانسان ولكن هذا لا يغير من الحقيقة برأي الطغرائي أيام المصاب ، أما في غيرها فقد يعتدل ويعلل ويقول :

ومن تطامن للدنيا غواربه

لم يخل من نصب فيها ومن رغب

أو يقول :

والعيش كالماء قد يصفو لشاربه

حيناً ، ويشرب أحياناً على الكدر

حنناً عليه فلما طاب موردنا

أقامنا الخوف بين الورد والصدر

أو انه يعزي نفسه ويطمئنها بالمستقبل :

كأن لم يكن بالمرء من قبل عشرة

إذا انتعشت تلك الجدود العوائر

أو انه يكل أمره الى الله الذي بيده كل شيء :

تفرد الله بالتدبير ما اشتركت

فيه نجوم ولا شمس ولا قمر

فكل الى الله ما أعيالك مطلبه
فسوف يأتي بما لا تأمل القدر
والخير والشر منه جاريان على
ما شاء : لا حيلة تفني ولا حذر
وكلما ضاقت به الاحوال وكلما نظر فيما حوله ازداد ايمانا بأن لا حيلة
تفني ولا حذر ، ولكنه يعوّل في هذه المرة على الحظ وسلطان الحظ :
أو ما ترى الارزاق تطلب غافلا
وتصد عن لَهْفَان وهو طلب
وأرى الجدود هي الحواكم للورى
وبهن يخفق طالب ويصيب
فاذا قطعك فالقريب مبعّد
واذا وصلك فالبعيد قريب
وقد تخالفه وأنت في حالتك الهادئة ، ولك الحق ، الا أنه يرى الدنيا من
زاوية مصابه ويأسه :
فأين مفري وما حيلتي
وجدي في كل صوب أمامي
ولا يرده الى التفاؤل الأمر والنصح ، وانما أمله في تغير الاحوال : « ما أضيق
العيش لولا فسحة الامل » ، وبالصبر انتظارا للطالع السعيد :
لا تجزعن ان فات ما رمته
واشدد عرى عزمك بالصبر
فالجِد ان ساعد نال الفتى
بغيتِه من حيث لا يدري
وهكذا تتصل « فلسفته » في الحياة بالمنصب وتتصل أكثر من ذلك بفقد

المنصب وما يسبب ذلك من ضيق وألم وشكوى يعممها على الناس ونواميس
العيش ، ولا غرو في أن يقول في مثل هذه المواقف مثل ما سمعنا ، ومثل :

ألم تر أن الناس أبناء دهرهم
وكلهم في فم له كأبيه
فإن غدرت بالحر يوماً بناته
فذاك قليل من كثير بنيه
هي الدار ينبو بالقطين جنبها
فمن خامل يتأبه ونبيه
تخبرنا عن تقدم قبلنا
وان لم نسألها بكيف وإيه
ومثل :

ولقد بلوت الدهر أعجم صرفه
حتى استوى المكروه والمحبوب
سل بي بنات الدهر فهي خيرة
أني عن المرعى الذميم عزوب
تباً لمن يمسى ويصبح لاهياً
ومرامه المأكول والمشروب
ومثل :

وأكثر الناس من تشقى بصحبته
ومصطلي النار لا يخلو من الشرر
تشابهوا في طباع الشر بينهم
على اختلاف من الأهواء والصور

★ ★ ★

فلا ترومن انصافا وقد شهدت
مخالب الليث أن الظلم في الفطر

هذه هي « فلسفة » الطغرائي ، وفيها كثير من الحرارة والشدة لانها تعبر
عن وخزات الالم واعراب عن الساعات السود . واذا أضفت الى هذه الساعات
ما لقي الشاعر في حياته من تجارب ، علمت أن الرجل أصبح أهلا لان ينصح
ويعظ ، وهذا ما حدث فعلا ، فقد أسدى ثمرات خبراته الى الآخرين مبتدئا
بالاقرب فالاقرب داعيا الى الاحتمال من. الاعداء ، والمجاملة ، والقناعة بميسور
العيش ، واطاعة الآباء ، والصبر على تصارييف الزمان ، والمصافاة والشكر
والتعاون ، وهو صاحب :

كونوا جميعا يا بنيّ اذا اعترى خطب ولا تتفرقوا أحادا
تأبى القдах اذا اجتمعن تكسراً واذا افترقن تكسرت أفرادا

وصاحب :

أخاك أخاك فهو أجلُّ ذخرٍ اذا نابتك نائبة الزمان
وان رابت اساءته فهبها لما فيه من الشيم الحسان ..

ونصائحه لا تكاد تزيد عن فكرة شائعة رصفت في كلام موزون مقفى يسهل
سماعها ، ويسهل حفظها دون أن يرتفع بها كثيرا عن النثر .

ويبدو الطغرائي في النصائح والخطرات الفلسفية ... والشكوى والفخر
والمدح .. مهموما مغرقا في الجد ، منصرفا الى جانب واحد لا يعنيه غيره من
الحياة ، مما يبعث على التساؤل ، ويزيد التساؤل وجاهة اذا تذكرنا انه مر بأيام
سعادة حققت له بعض ما كان يصبو اليه . ونعود الى الديوان بنية جديدة نستجلي
بها الجانب الضاحك من حياته فنرى هذا الجانب ضيقا يتمثل في هذه الرسالة التي

كتبها الى عز الدين بن حامد المستوفى يدعو ليشاركه النشوة :

فديتك قد تنهنا لدهر	عيون صروفه عنا نيام
وجاد لنا الزمان بجمع شمل	تألف بعدما انقطع النظام
مدام يشبه التفاح ذوبا	وتفاح كما جمد المدام
ومن نسج الربيع محبرات	تألق في حواشيها الغمام
وأصوات المثلث والمثاني	كما سجت على الايك الحمام
وريان الصبا للحسن فيه	بدائع لا يحيط بها الكلام
له من فتك صديقه نجاد	ومن ألاحظ عينيه حسام
ومجلسنا على ما فيه يرمى	بنقصان وأنت له تمام
فلا تعتل بالاشغال واحضر	على عجل والا فالسلام

والرسالة طريفة • وله رسالة اخرى يدعو بها الى مائدة « ثرية »
بكل ثري :

فديتك قد حان وقت السحور	ولاح الصباح ولم تحضر
وجاء الطهاة بما عندهم	وحت السقا على المسكر
ومد القباطي فوق الخوا	ن يلمع كالقمر المزهـر
وحان الصلاة على ابن الشهيد	فحيّ على دفنه تؤجر
وفوق المنصة مجلوة	علينا عرائس من سكر
بنات المؤذن ذاك الذي	يؤذن والصبح لم يسفر
سبين وعرين من بعدما	ذبحن فيا لك من منكر
فلما سلبن الثياب ابتلين	بسوداء موحشة المنظر
أصابها الحجن مسنونة	نواشب منهن في المنخر
فزارت بهن سواء الجحيم	ترنّح بالملهب المسعر
فصلوبة سمّرت كفها	الى جيدها وهي لم تشعر
ومثقوبة البطن في جوفها	كرات من الذهب الاحمر

وأخرجن منها الينا يسق ن سوق العصاة الى المحشر ••
فبادر الينا فدتك النفوس ولا تتوقف ولا تقصر
وشارك بأفعالك الاقدمي ن في العزف والخمر والميسر

والقصيدة مثل على ترف الشاعر وترف عصره ، وهناك أمثلة اخرى يمكن
أن نراها في وصف الغدران والرياض ووصف مظاهر الطبيعة الاخرى من سماء
ونجوم وكروم وورود ••• وقد زخرت هذه الاوصاف بالزبرجد والياقوت
والمسك والحرير و « حقائق تبر بطنت بفضة » :

وترى شقائقها خلال رياضها أوفت مطارفها على أزهارها
فكأنها والرييح يصقل خدتها والسحب تملؤها بصوب قطارها
أقداح ياقوت لطاف أترعت راحا فبات المسك سؤر قرارها

وهذه مسميات وتشابيه لا تنهياً الا لاهل النعمة والثراء الذين عرفوها
وألفوها ، وهو في ذلك أقرب الى ابن المعتز الذي وصف ما رأى وما ملك • وهو
اذ يقترب منه بذلك ، يقترب كذلك بفنه الذي جاء « ماديا » وعرضا من الخارج ،
وبأسلوبه الجاف الذي يكاد - في جملته - يستحيل نثرا •

والطغرائي الى جوار هذا الترف الاجتماعي الذي بدا في وصف الطبيعة
ووصف الموائد ، ترف فني يبدو في غزله الذي كان يقوله ليرضي المفاهيم الفنية
في عصره ولينزجي فيه طرفا من أوقات الفراغ •

ويقوم هذا الغزل على المهارة قبل كل شيء ، وتتلخص هذه المهارة في القدرة
على الظهور بمظهر العاشق - والعاشق الكبير دون معاناة لعشق ودون وقوع في
حب ، وكل ما في أمره انه نظم لمعان شائعة ذائعة فيه الغرام والوله ، والموعود واللقاء ،
والعاذل والواشي ، وسهر الليالي ، ونحول البدن •• والدموع • معان هي
معاني كل الناس ، ولو قرأها قارئ وهو خالي ذهن من تاريخ الغزل في الادب
العربي وجاهل بأسرار الكذب ••• لحسبها صدقا ولبنى عليها أحكاما لا تمت
الى الواقع بسبب متين وقد يستبسط أن الطغرائي عاش في جزيرة العرب ومثل

أطواره الكثر على مسارح الجرعاء ، الحمى ونجد والحجاز والغور والعذيب
ووادي العقيق ... والاجرع الفرد ، ويروح يبحث في كتب الجغرافية والبلدان
ليستكمل البحث . وفي ذلك ضلال كبير ، لان الطغرائي لم ير شيئا مما ذكر
ولم يعيش يوما في هذه الاماكن التي طال حنينه اليها وتعددت مغامراته في أركانها ،
وأخذ من بيئتها تشايبه ومن أهلها مظاهر حياتهم .

وليست المسألة مسألة قول ، لان هذا القول ابن المهارة أولا وقبل أي شيء ،
وقد أوتي الطغرائي كل الادوات اللازمة للنجاح في هذا الفن من لغة وحفظ
ومران واعجاب بالشريف وجميل والبحري وابن أبي ربيعة وأضرابهم . وتقليده
للشريف الرضي واضح لا غبار عليه ، وقد نص هو نفسه على المعارضة^(٣) .

وقد بلغت مهارة الطغرائي من الدقة بحيث جلت هذا الشعر الذي لا يمت
الى حقيقة بصلة في حلّة تجتذب القارئ وتستثير إعجابه وقد تخدعه أحيانا
عن نفسه فيخال صدقا ما لم يكن بصدق .

ومما يقصه علينا أبو اسماعيل من أوطار هذا « الحب » وأطواره ، أن
« حبيته » كانت توافيه فيتطارحان الاسرار :

أت وهي أحلى للفقود من المنى
وأطيب من تهوية الفجر في جفني

فرشت لها خدي وقبلت كفها
خضوعا ولا تقيل مستلم الركن
ولما تطارحنا الاحاديث بيننا
وبخنا بأسرار القلوب ولم نكن

(٣) ننظر ص ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ من ديوان الطغرائي ، وتقابل
ب ص ٥١٦ ، ٤٦١ ، ٥١٧ ، ١١٩ ، ٤٤٢ ، ٤٥٢ ، ١٥٢ من ديوان الشريف
الرضي ، طبعة دار الاخبار .

حلفت لها بالبدن تدمى نحورها
اليت بر صادق ليس يستثنى :
لانت صميم القلب في النفس والذي
اذا رمت حبا غيره فهو ما أعني
وما اقتسم العشاق مذ صرت بينهم
سوى سؤر وجدي والبقية من حزني
وتستزيده عن أخبار اللقاء فيقول :

فلم أر الا ما ألد وأشتهي
ولم يك الا ما أود وما أرضى
وتستزيده وتستوضحه ، فينبئك حديث القلب :

وافت وفوق لآلي الشجر من لعس
ختام مسك ففضت ختمها القلب
ثم حديث التقى والعفاف :

بتنا وبات التقى ' يقظان يحرسنا
ودينا في الهوى قول ولا عمل
ثم اثينا وجيبي ليس يعلقه
غير العفاف وردني من دمي خضل
وليست هذه المرة الاولى أو الاخيرة فلطالما عف وهو قادر :

وليلة وصل قد قدرت فصدني
حيائي الا ان الحياء رقيب

ولكن ، ليس الحب وصلا فقط ، كيف لا ، وهناك البعد والفراق وما
يعقبان من جزع وحزن :

هم نزعوا من طاعة الصبر بعدهم
يديّ وأغروا ناجذي بناني

وسهر ونحول :

هناك الكرى يا راقد الليل انني
ألفت سهادا طاب لي وهناني

★ ★ ★

فيا صاحبي سري وجهري أسعدا
فلم يبق مني غير ما تريان

واذا حالت الحوائل دون الوصل واخفق الوشاة في عبثهم صاح :

هم أرجفوا بالوصل بيني وبينكم
وظن بنا فيما حكوه ظنون
فليت أراجيف الوشاة حقيقة
وليت ظنون الكاشحين يقين

وكان بوده لو كتم حبه وعفى على أشواقه - ولكنه يحاول عبثا :

سرى حيث لا يدري الضمير مكانه
ولا يهتدي يوما اليه الهواجس
اذا قلت هذا يوم أسلو تراجعت
عقاييل من أسقامه ووساوس

يحاول ، ولا يستطيع :

ومن لي بكتمان الهوى ومدامي
تسم وأنفاسي الحرار تشيع

وينحى باللائمة على قلبه :

يا قلب ما لك والهوى من بعدما
طاب السلو وأقصر العشاق
أو ما بدا لك في الإقامة والأولى
نازعهم كأس الغرام أفاقوا
مرض النسيم وصح ، والداء الذي
أشكوه لا يرجى له افراق
وهذا خفوق البرق والقلب الذي
تطوى عليه جوانحي خفاق

★ ★ ★

وأنا الفداء لمن تصرم جيله
عني ولم تتصرم الاعلاق
يا حبذا نجد وأعراق الثرى
لذن ، وأنفاس النسيم رفاق

والغالب على نسيب أبي اسماعيل فخامة اللفظ وفخامة التراكيب ، الا أنه قد
يسهل حتى يقرب من منهج العباس بن الاخنف فيقول :

ظلموم ليس ينصفني	يواعـدني ويخلفني
يضمن بما أكلفه	وأبذل ما يكلفني
يقول : - وقد شكوت اليـ	هـ ما ألقى - أتعرفني ؟
فقلت له أنكـر من	يعـذبني ويتلفني

وقد ذكرنا أسباب نجاح الطغرائي في مزاولة الغزل التقليدي ، وكان علينا
أن نضيف سببا آخر هو استفادة الشاعر من تجاربه الخاصة فلقد رأيناه في مطلع
حياته مجبا صادق الحب وقد فجعه الزمان بحبه ذاك فكان الرثاء الذي رأيناه على

أحسن ما يكون عليه الغزل ، ثم سار الزمان وأراد أن ينظم كما نظم الآخرون في المقطعات ، وإن في مطالع قصائد المديح فهل من معاني القدامى ومن تراكيبهم وقد أجاد في ذلك اجادة ملحوظة ، ولكنه كان يفيد أيضا - بقصد أو بغير قصد - من رصيده القديم . فإذا تحدث عن الاشواق والوصل والعذال والكمائن والاطياف ... لم يبدأ من صفر ، بل ان بين الصفحات التي كرسها الديوان للغزل التقليدي أبياتا يطغى فيها الرصيد الاول حتى لتخالها مما قاله في حبيبة بعينها . ومن ذلك هذه الايات :

أضنى طارفا شكا أم تليدا	خبروها أنى مرضت فقالت
فأبت وهي تشتهي أن تعودا	وأشاروا بأن تعود وسادي
رقبة الحبي والمزار البعيدا	وأنتني في خفية وهي تشكو
أن أمالت عليّ عطفًا وجيدا	ورأتني كذا فلم تمالك
ويح هذا الشاب غضا جديدا	ثم قالت لتربها وهي تبكي
علمت جمرة الفؤاد وقودا	زورة ما شفت عليلا ولكن
زفرات أبين الا صمودا	وتولت بحسرة البين تخفي

ومنه هذان البيتان :

أجمًا البكا يا مقلتي فانتني	على موعد البين المبدد ، واقع
إذا جمع العشاق موعدهم غدا	فوا خجلتا ان لم تعني المدامع

خاتمة :

طرق الطغرائي كل أغراض الشعر المعروفة في عصره ، وكان مجيدا في رثائه لزوجته اذ أعرب عن حزنه بشعر هو البكاء والدموع ، وكان أصيلا مجيدا في فخره بفضلله وطماحه الى المجد اذ جلا ثقته بنفسه وجلا صورة الطغرائي ، ولئن بدا مغاليا ، فان نصيب الواقع من أقواله غير قليل ، والمنصب - على أية حال - مفتاح شخصية الشاعر وسر الصدق في فخره وشكواه ، لان الشكوى في شعره ضرب من الفخر ، وتبدو على أعنف ما يمكن عندما يمس منصبه بسوء ، ومثل الشكوى ما مت اليها بصلة من حكم ووجهات نظر .

ولئن كان حظ العاطفة كبيرا في أكثر ما قال من هذه الاغراض ، وكان حظ الصور والاخيلة مرتبطا بهذه العاطفة فان للتراكيب وما فيها من ألفاظ وصلة

اللفظة باللفظة بحيث تأتي الابيات محكمة السبك ، صلة واضحة بالعاطفة والخيال وقد تماسكت الابيات وترابطت الوحدات الفكرية الصغيرة ضمن اطار فكرة سائدة فبدت القصيدة بعيدة عن التكلف والتصنع ، وبدا الشاعر وكأن همه الاول الاعراب عما ينتاب قلبه من ألم وأمل ولا يهمه بعد ذلك أن يرضى عنه الآخرون أو أن يخطوا •

أما أغراضه الاخرى في المديح والغزل والاخوانيات والوصف فتقوم أول ما تقوم على المهارة واردة النظم والقصد اليه من أجل غاية خارجة عن طبيعة نفسه وخارجة عن طبيعة الشعر ، فهو اذ يمدح ويعدد الصفات المعروفة في الشجاعة والكرم انما يريد أن يرضي أناسا بعينهم من أجل نفوذهم ثم هو يعلم ان مثل هذا الشعر في المديح وغيره ينشد في المجالس ، وللمجالس ذوق خاص فهي تعجب بغرابة اللفظ وغرابة الجناس والطباق والكناية والاستعارة ... كما انها تعجب بمعان وموضوعات وتراكيب مكررة معادة ولكنها من مخلفات السلف الصالح ... وهذه مطالب كثيرة ينوء بها الشعر ولا يمكنه النهوض معها سليما متدفقا ، وهذا الذي حدث للطغرائي ولغيره ، ولكن الشاعر المتمكن يستطيع أن يعوض بالمهارة عن الصدق والعاطفة والخيال - تعويضا ما ، وهذا الذي أضفى على اشعار الطغرائي في هذه الاغراض شيئا من الطرافة والرونق • دون أن يسلم من الوقوع بين الحين والحين في سخف التراكيب وسخف الافكار ، وقد توهمه المهارة الزائدة باختيار قواف صعبة كالحاء والضاد والصاد ، وبالنظم على قافيتين وبمعارضة الشريف الرضى والبحثري ... فيوقعه توهمه في وهن شعري جديد •

ولئن كان لشعر المهارة قيمة تاريخية ولبعضه طرافة تجتذب القارئ ، واذا كان الشاعر قد أضاف الى ذلك شعرا تعليميا يعنى به طلاب الحكمة من أي اناء خرجت وطلاب الكيمياء كيفما عرضت ، فان أهمية الطغرائي الاولى لدى القارئ الحديث تأتي من شعره الاصيل في الرثاء والفخر والشكوى حيث يجد القارئ العاطفة والخيال والبناء ويجد أسراراً من طوايا نفس الشاعر ونفس الانسان فيقرأ الاثر اعجابا وتقديرا •

لا مية: الحفرك

رموز التحقيق

- ل - مخطوطة ديوان الطغرائي بلندن
غ - مخطوطة ديوان الطغرائي نسخة راغب باشا
يا - ياقوت في ارشاد الاديب . ط . دار المأمون
خ - ابن خلكان . ط . الوطن
ص - الصفدي ، الغيث ، ، ١٣٠٥

١

النص محققا

(١)

- أصالة' الرأي صاتني عن الخطَلِ
وحلية الفضل ذاتني لدى العطلِ (١)
مجدي أخيراً ومجدي أولاً شرَعُ
والشمس' رأدَ الضحى كالشمس في الطفَلِ (٢)

(١) الخطل : المنطق الفاسد المضطرب ، العطل : في الاصل خلو جيد المرأة من القلائد ، وفي البيت تجريد الشاعر من المنصب .
(٢) مجدي أخيراً ومجدي أولاً : قد يكون القصد ، مجدي بعد التعطيل وقبله ، وقد يكون ، مجد أسلافي ومجدي ، المعنى الاول أنسب . شرع : سواء .
رأد الضحى : شروق الشمس بعد طلوعها ، والرأد ارتفاعها . الطفل : قرب الغروب ، طفلت الشمس ، مالت الى الغروب . والمقصود في البيت : الرأد أول =

فيم الإقامة' بالزوراء لا سكني
 بها « ولا ناقتي فيها ولا جملي، (٣)
 ناءٍ عن الاهل صفر' الكف منفرد'
 كالسيف عُرِّيَ متناه' عن الخلل (٤)
 فلا صديقَ اليه مشتكى حزني
 ولا أنيسَ اليه منتهى جذلي (٥)
 طال اغترابي حتى حنَّ راحلتي
 ورحلها وقرى العسالة الذبل (٦)
 وضجَّ من لغَبِ نضوي وعجَّ لما
 يلقي ركابي ، ولجَّ الركبُ في عذلي (٧)

= النهار ، والطفل آخره .

والمعنى : مجدي في الاول والآخر سواء ، كما ان الشمس هي الشمس في
 اول النهار وفي آخره .

(٣) غ ، يا ، خ ، ص لا سكني : لا وطني ، ل . السكن : ما يسكن اليه
 الانسان من زوج وغيره .

(٤) غ ، يا ، خ ، ص كالسيف . عن : كالنصل . س ، ل .
 متناه : المتن الظهر مكتنفا الصلب عن يمين وشمال ، وهما جانبا السيف .
 الخلل : جمع خلة ، والخلل بطائن كانت تغطي بها أجفان السيوف منقوشة
 بالذهب وغيره .

والمعنى : أصبحت كالسيف الذي جرد من حليته فلا تنظره العيون .

(٥) صديق . أنيس شكلها ناشر ياقوت : صديق (بضميتين) . أنيس
 (بضميتين) . ل ، يا ، خ ، ص اليه منتهى : لديه ، غ .

(٦) ل ، غ ، خ قرى : قرا ، يا . وشكلت في غ بكسر القاف .
 الراحلة : الناقة ، العسالة : واحدها عسال ، وهي الرماح ، قرى : أعلى
 السنن ، الذبل : جمع ذابل ، وهو من صفات الرمح كأنه يصف الرماح
 بالخفة والدقة .

طال اغترابي وامتد سفري الى أن حنت راحلتي وحن رحلها وحتت أعالي
 رماحي الى الدعة والسكون والاستقرار .

(٧) النضو : البعير المهزول .

أريد بسطة كف أستعين بها
 على قضاء حقوق للعلى قبلي^(٨)
 والدهر يعكس آمالي ويقنني *
 من الغنمة بمسد الكد بالقفل^(٩)

(٢)

وذي شطاظ كصدر الرمح معتقل
 بمثله غير هباب ولا وكيل^(١٠)
 حلو الفكاهة مر الجد قد مزجت
 بقسوة البأس منه رقة الغزل^(١١)
 طردت سرح الكرى عن ورد مقلته
 والليل أغرى سوام النوم بالمقل^(١٢)

(٨) ل ، غ للعلى : للعل ، يا ، خ ، ص .

بسطة كف : سعة في المال .

(٩) ل ، غ ، خ ، الكد : الجد ، يا .

(١٠) ل ، ص ، بمثله : لمثله غ ، يا ، خ .

الشطاظ : بالفتح والكسر اعتدال القامة (واختار ناشر ياقوت فتح
 الشين) . الاعتقال : هو أن يضع الفارس رمحه بين ساقه وركابه ، ومعتقل
 مجرور على انه صفة بعد صفة لذي . بمثله : جار ومجرور في موضع نصب
 مفعول لاسم الفاعل وهو معتقل كأنه قال معتقل مثله (بفتح اللام) . غير :
 مجرور على انها صفة لمعتقل (وقد شكلها محقق ياقوت بفتح الراء) . الوكل :
 العاجز الذي يتكل على غيره .

(١١) حلو . مر . في الصفدي صفة لذي في البيت الذي تقدم . وكذلك
 ورد شكلها في غ . أما (ل) ومحقق (يا) فاختر الضم .

غ ، يا ، خ ، ص مزجت . منه : لعبت . فيه ، ل . ل . غ ، بقسوة :
 بشدة ، غ ، يا ، خ ، ص .

(١٢) ورد بكسر الواو ، وجاءت بالفتح في ع ، يا . السرح : المال السائم .
 السوام : المال الراعي .

منعته النوم بالمحادثة ونحن في ليل قد أقبل بالنوم على العيون .

- والركبُ ميلٌ على الاكوار من طربٍ
 صاح ، وآخر من خمر الكرى ثَمِلٌ (١٣)
 فقلتُ أدعوك للجُلَى لِتَنصُرَنِي
 وأنت تخذُلني في الحادث الجلل (١٤)
 تَمَّ عَنِّي وعينُ النجمِ سَاهِرَةٌ
 وتستحيل وصَبغُ الليل لم يحل (١٥)
 فهل تُعِينُ على غَيٍّ هَمَّتْ بِهِ
 والغَيُّ يزجر أحيانا عن الفشل (١٦)
 اني اريد طروقَ « الحي » من « اضم »
 وقد حماه رمة الحي من « ثعلر » (١٧)

(١٣) ل ، غ ، ص ، الكرى : الهوى ، يا ، خ .

طرب بكسر الراء في (غ) ، وقال (ص) بكسر الراء ، اسم فاعل هنا وليس مصدرا فتفتح الراء لانه لو كان مصدرا لفسد المعنى ، وكان الجار والمجرور مفعولا من أجله وكان قوله وآخر من خمر الكرى معطوفا على غير شيء ولم يتعلق بما يربطه . . . وآخر معطوف على طرب ولم ينجر لانه غير منصرف . ووردت طرب في (ل) وعند محقق ياقوت بفتح الراء ، ووردت آخر في (غ) ويا بضم الراء .
 ميل : جمع أميل وهو الذي لا يستوي على السرج . والطرب : خفة تلحق الانسان لشدة حزن أو سرور . يقول الصفدي انه هنا يحتمل أن يكون من الفرح وان يكون من الحزن ، ولكنه الى الحزن أقرب لانه جاء في سياق شدة السهر .

(١٤) غ ، يا تخذلني (بضم الذال) : تخذلني (بكسر الذال) ، ل .
 الجلى : الامر العظيم .

(١٥) غ ، يا ، ص ، عني : عيني ل ، خ ، يا ، خ الليل : النجم ، ل ، غ .
 تستحيل : تتغير . الصبغ بالفتح اللون وقد وردت كذلك في غ ، ص .
 وفي ل ، يا بالكسر . وهو ما يصبغ به .

(١٦) ل ، يا ، خ ، ص ، يزجر : يصدف ، غ .
 الغي : الضلال . الفشل : الجبن .

هل لك أن تعين صاحبك على غي هم به ، فان الغي يمنع الانسان في بعض الاوقات عن الجبن .

(١٧) غ ، يا ، خ ، ص ، الحي : الجزع ، ل . يا ، خ ، ص ، حماه :
 رماه ، ل : حمته ، غ . ل ، يا ، ص ، حماه : حماه ، ل . في ل ، رمة الحي =

- يحمون بالبيض والسمر اللدان به
 سودّ الفدائر حمراً الحلى والحلل (١٨)
 فسر بنا في ذمام الليل معتسفا
 فنفحة الطيب تهديننا الى الحلل (١٩)
 فالحبّ حيث العدا والاسد رابضة
 حول الكناس لها غاب من الأسل (٢٠)
 نؤم ناشئة « بالجزع » قد سقت
 نصالها بمياه الغنّج والكحل (٢١)
 قد زاد طيب أحاديث الكرام بها
 ما بالكرائم من جبن ومن بخل (٢٢)
 تبت نار الهوى منهناً في كبد
 حرّى ، ونار القرى منهم على القلل (٢٣)

- = من ثعل ، وفي غ ، حماة الحي من ثعل . وفي يا ، خ ، ص : رماة من بني ثعل .
 أضم : جبل بأرض المدينة . ثعل : أبو حي من طيء وهو ثعل بن عمرو .
 وبنو ثعل مشهورون باتقان الرمي .
 (١٨) غ ، يا ، خ ، ص ، به : بهم ، ل .
 به : الضمير يعود الى الحي . الحلل : جمع حلة وهي البردة اليمانية ،
 والحلة ازار ورداء ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين .
 (١٩) ل ، يا ، خ ، ص ، ذمام : ظلام ، غ . غ ، يا ، خ ، ص ، معتسفا
 فنفحة : مهتديا بنفحة ل .
 معتسفا ، اعتسف مشى على غير هداية ومعرفة . الحلل جمع حلة : بيوت القوم .
 سر بنا في ذمة الليل فانه يسترنا ، واعتسف السير ولا تخش الضلال عن
 طريق الحي ، فان نفحة الطيب من أهله ترشدك الى الحلة التي هم بها نزول .
 (٢٠) ل ، يا ، خ ، ص ، العدا : العدى ، غ .
 الكناس : موضع الظبي . الاسل : الرماح .
 (٢١) الجزع : منعطف الوادي . النصال : جمع نصل وهو حديدة
 السيف والسهم . وهنا ، نصالها التي تحميها .
 (٢٢) ل ، يا ، ص ، طيب : غ ، طيب . ل ، بخل (بفتحيتين) غ ، يا : بخل
 (بضميتين) ل والجبن والبخل صفتان محمودتان في النساء برأي القدماء .
 (٢٣) غ ، يا ، ص ، القلل : قلل ، خ : قبل ، ل .
 نساء الحي حسان ، ورجاله كرام .

- يَقْتُلْنَ أَنْضَاءَ حَبْ لَا حَرَكَ بِهَا
 (٢٤) وينحرون كرامَ الخيل والابل
 يُشْفَى ' لَدِيغُ الْعَوَالِي فِي بُيُوتِهِمْ
 (٢٥) بنهلة من غدير الخمر والعسل
 لَعْلُ الْمَامَةِ « بِالْجِزْعِ » ثَانِيَةً
 (٢٦) يَدِبُ مِنْهَا نَسِيمُ الْبُرِّ فِي عَلْلِي
 لَا أَكْرَهُ الطَّغْنَةَ النَّجْلَاءَ قَدْ شَفَعَتْ
 (٢٧) برشقة من نبال الاعين النجل
 وَلَا أَهَابُ الصَّفَّاحِ الْبَيْضَ تُسَعِدُنِي
 (٢٨) باللمح من خلل الاستار والكيل
 وَلَا أَخِيلُ بِغِزْلَانٍ ' أَغَاذِلُهَا
 (٢٩) ولو دهنتي أسود الغيل بالغيل

(٢٤) بها ، ل ، غ ، خ : ص ، بهم : به ، يا . ل ، غ ، خ ، ص ،
 ينحرون : يحتوين ، يا .
 أنضاء : جمع نضو .

(٢٥) غ ، يا ، خ ، ص ، العوالي : الغواني ، ل . ل بيوتهم : بيوتهم ، غ ،
 ومن الخطأ المطبعي في يا كسر الياء . غ ، يا ، خ ، ص . غدير : لديد ، ل .
 ان الذي تطعنه الرجال بالرماح ، متى ارتشف شربة واحدة من ريق هذه
 الفتيات شفي .

(٢٦) غ ، يا ، خ ، ص ، عللي : علل ل .

(٢٧) غ ، يا ، خ ، ص ، برشقة : برشفة ، ل : بردفة ، المطبوع . كأنه
 يهون على صاحبه ما توهمه من بأس رجال الحي لما أخذ يصفهم بالشجاعة والغيرة .

(٢٨) غ ، يا ، خ ، ص ، الصفاح : صفاح ، ل . يا ، خ ، ص ، من خلل
 الاستار : من صفحات البيض ، ل ، غ .

تسعدني : تعينني . الخلل الفرجة بين الشئين والجمع الخلال مثل جبل
 وجبال ، هكذا في الصفدي ، وقد كسر محقق ياقوت الخاء .

(٢٩) ل ، غ ، ص ، أغازلها : تغازلني ، يا ، خ ، غ ، الغيل بالغيل : الغيل
 (بفتح الغين) ل : الغيل بالغيل (بفتح الغين الاولى وكسر الثانية) يا .

- حبُّ السلامةِ يَشْتِي هَمَّ صَاحِبِهِ
 (٣٠) عن المعالي وَيُفْرِي المرءَ بالكسلِ
 فان جَنَحْتَ اليه فَاتَّخِذْ نَفَقًا
 (٣١) في الارضِ أو سَلَمًا في الجو فاعْتَزِلْ
 ودعْ غَمَارَ العلى للمَقْدِمِينَ على
 (٣٢) رُكُوبِهَا ، واقْتَتِعْ مِنْهُمْ بِالْبَلَلِ
 رضى الذليلِ بخفضِ العيشِ مَسْكَنَةً
 والعزْزُ عندَ رَسِيمِ الاينقِ الذُّلِّ (٣٣)
 فادراً بها في نُحُورِ اليَدِ جَافِلَةً
 معارِضاتٍ مِثْلَ مِثَانِي التُّجْمِ بِالْجُدْلِ (٣٤)

- (٣٠) ل ، غ ، يا ، خ ، ص ، هم : عزم يا (طبعة مارغوليوث)
 ان ملت الى حب السلامة فادخل في نفق في الارض أو اصعد في سلم في الجو ،
 لان السلامة متعذرة عليك ما دمت بين الناس ولا سبيل الى النزول في النفق ولا
 الى الصعود في سلم في الجو ، اذ لا بد لك من الناس ، والسلامة فيهم عزيزة - وفي
 هذا تحريض على الحركة والسعي والاجتهاد في احراز المعالي ، لان السلامة
 ممتنعة ، فالاولى بالانسان الطلب والسعي الى المعالي .
 (٣١) غ ، يا ، خ ، ص ، سلما : مصعدا ، ل ، غ ، ل ، يا ، ص ،
 فاعتزل : واعتزل ، خ .
 (٣٢) ل ، ص ، غ ، العلى : العلا ، يا ، خ .
 غمار : جمع غمر وهو في الاصل الشدة والزحمة ، وفي الماء : اللجج .
 (٣٣) ص ، رضى ، خ ، رضا : يرضى ، غ ، ل ، يا . ص ، يا ، خ ،
 مسكنة : يخفضه ، ل ، غ . ع ، ل ، ص ، عند : تحت ، يا ، خ ، ص ، يا ،
 خ ، الاينق : الاينق ، غ ، ل .
 الرسيم : ضرب من سير الابل . في الاينق قال الصفدي : جمع الناقة
 تقديرها فعلة بالتحريك لانها جمعت على نوق مثل بدنة وبدن وخشبة وخشب
 وقد جمعت في القلة على انوق ، ثم انهم استثقلوا الضمة على الواو فقدموها
 فقالوا أونوق . ثم عوضوا من الواو ياء فقالوا أينق .
 (٣٤) غ ، يا ، خ ، ص ، البيد : الخيل ، ل ، غ ، يا ، الحدل (بضم =

ان العلى حدّثني ، وهي صادقة
 فيما تحدث ، أن العز في النّقل (٣٥)
 لو أنّ في شرف المأوى بلوغ منى
 لم تبرح الشمس يوماً دارّة الحمل (٣٦)

(٤)

أهت بالحظّ لو ناديت مستمعاً
 والحظّ غنيّ بالجهال في شغل
 لعله ان بدا فضلي وتقصهم
 لعينه ، نام عنهم أو تبّه لي (٣٧)
 'اعلّ النفس بالآمال أرقبها
 ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل (٣٨)
 لم أرض العيش والايام مقبلة
 فكيف أرضى وقد ولّت على عجل (٣٩)

= (الجيم والdal) : الجدل (بضم الجيم وفتح الدال) ، ل .
 ادراً : ادفع . جافلة : مسرعة . معارضات : مماثلات ، مباريات . مثاني :
 جمع مثني أي اثنين اثنين . اللجم : جمع لجام . الجدل : جمع الجديل وهو
 زمام الناقة المجدول أي المحكم القتل .
 ادفع بالنوق والخيّل في القفار مسرعة ، فعارض لجم الجيل بأزمة النوق -
 حثاً منه على السير .

(٣٥) غ ، يا ، خ ، ص ، فيما : في ما ، ل .
 (٣٦) غ ، يا ، خ ، ص ، منى : على ، ل ، ابن جماعة . (ومن الخطأ
 المطبعي كسر الميم في يا) .

الدارة : هي - في الاصل - ما يدور حول الشيء ، وتكون للقمر والشمس ،
 واستعملها الشاعر للحمل . والحمل : أول برج من بروج الكواكب الاثني عشر .
 (٣٧) لعله ، الهاء تعود الى الحظ .

(٣٨) غ ، يا ، خ ، ص ، الأمل : الاجل ، ل .
 (٣٩) ل ، ص ، لم أرض : لم أرض بالعيش ، غ ، يا ، خ ، غ ، يا ،
 خ ، ص ، وقد : فقد ، ل .

غالى' بنفسى' عرفانى بقيمتها
 فصنتها عن رخص القدر مبتذل
 وعادة النصل أن يزهى' بجوهره
 وليس يعمل ألا في يدي' بطَل (٤٠)
 ما كنت' أوثر أن يمتدّ بي زمي
 حتى أرى دولة' الاوغاد والسفل (٤١)
 تقدمتي اناس' كان شوطهم'
 وراء خطوي اذ أمشي على مهل (٤٢)
 هذا جزاء امرئ' أقرانه' درجوا
 من قبله فتني' فسحة' الاجل
 وان علاني' مَنْ' دوني فلا عجب'
 لي' أسوة' بانحطاط الشمس عن 'زحل' (٤٣)
 فاصبر لها غير' محتال ولا ضجير
 في حادث الدهر ما يُغني عن الحيل (٤٤)

(٤٠) غ ، يا ، خ ، ص ، وليس : فليس ، ل .

النصل : السيف .

عادة السيف أن يفخر بجوهره ، ولكن المراد منه القطع ولا يكون ذلك منه
 الا اذا كان في يدي بطل يضرب به فيصيب .

انني في ذاتي كالسيف المجوهر لما حزته من العلوم وملكنه من ممارسة
 الامور وسياستها ، ولكن لا نفع لها ، لانها كامنة ، فلو باشرت أمرا أو توليت
 ولاية ظهرت محاسني في الخارج وبرز في الظاهر نفع ما لدي .

(٤١) ل ، يا ، السفل (بفتح السين) : السفل (بكسر السين) ، غ .

وهذا دليل سوء الحال .

(٤٢) ل ، يا ، خ ، اذ : لو ، غ ، ص .

(٤٣) الشمس في الفلك الرابع ، والزحل في الفلك السابع .

أخذ يسلي نفسه ويتأسى .

وان علاني هؤلاء الذين ذممت دولتهم وأيامهم وهم دوني في كل شيء ، فان

لي اسوة بكون الشمس منحطة عن زحل .

(٤٤) غ ، يا ، خ ، عن : من ، ل .

لها : الضمير يرجع الى معهود في النفس لم يذكر وهي المقادير أو الايام =

أعدى عدوك أدنى من وثقت به
 فحاذر الناس وأصحابهم على دخل (٤٥)
 وإنما رجل الدنيا وواحد
 من لا يعول في الدنيا على رجل
 وحسن ظنك بالأيام معجزة
 فظن شرا وكن منها على وجل (٤٦)
 غاض الوفاء ، وفاض القدر وانفجرت
 مسافة الخلف بين القول والعمل
 وشان صدقك عند الناس كذبهم
 وهل يطابق معوج بمقتل (٤٧)
 ان كان ينجع شيء في ثباتهم
 على العهود فسبق السيف للعدل (٤٨)

= والحوادث • غير محتال : مسلما • حادث الدهر : ما يحدثه • الحيل : جمع
 حيلة وهي الفكرة في بلوغ القصد بطريق خفي على غيرك •
 اصبر للنوائب صبر من لا يحتال ولا يقلق لنزولها ، فان في حادث الدهر
 ما يغني عن الحيل ، ويأتيك بما لا تقدر عليه بحيلك وحولك •

(٤٥) الدخل : المكر والخديعة •

• خذ حذر من الناس واصحبهم بالخديعة والمكر ، ولا تركز الى أحد
 ممن وثقت به وظننت انه صديقك لانه أشد عداوة من كل عدو •
 (٤٦) - (٤٧) ل ، يا ، خ ، ص ، وحسن • • • غاض : غاض • • • وحسن ،
 غ • ل ، وكن منهم : وكن فيها ، غ ، وكن منها ، يا ، خ ، ص •

(٤٨) ل ، يا ، ص ، يطابق (بفتح الباء) : يطابق (بكسر الباء) ، غ •
 ان كان شيء من الاشياء نافعا في ثبات الناس على العهود وذلك الشيء مثل
 اللوم والعدل على ما ارتكبه من نقص الوفاء واطهار القدر فان السيف سبق العدل
 في ذلك • يعني ان هذا الامر فات وما بقي يفيد فيهم العدل شيئا ، كما ان السيف
 يسبق من يعدل ويفوت الفوت في كفه بعدما يمضي • لا تطمع في عود رعيهم
 للعهد كما ان المقتول لا يطمع في حياته •

يا وارداً سُورَ عيش كله كدرُ
 انفتت صفوك في أيامك الأول (٤٩)
 فيم اقتحامك لُجَّ البحر تركبُه
 وأنت يكفيك منه مصّة الوشل (٥٠)
 ملكُ القنّاعة لا يُخشى عليه ولا
 يُحتاج فيه الى الانصار والخول (٥١)
 ترجو البقاء بدار لا ثبات لها
 فهل سمعت بطلّ غير منتقل
 ويا خبيراً على الاسرار مطلعاً
 أصمتُ ففي الصمت منجاة من الزل (٥٢)
 قد رشّحوك لأمر لو فطنت له
 فأربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل (٥٣)

-
- (٤٩) ع ، يا ، خ ، ص ، صفوك : عمرك ، ل ، غ .
 وهذا البيت يسميه أرباب البلاغة التجريد ، وهو أن يجرد الانسان من نفسه شخصاً يخاطبه فهو يستريح بمعانيته وتعنيفه وتوبيخه .
- (٥٠) غ ، يا ، خ ، ص ، فيم : في ما ، ل ، يا ، خ ، ص اقتحامك : اعتراضك ، غ ، ل . أخذ يريض نفسه ويسكن سورة غضبها بعد أن كان قد ثار واحتدم واحتد واضطرم .
- (٥١) الخول : الحشم ، العبيد .
 ان ملوك الدنيا يحتاجون الى الخول والانصار للخدمة ، والى العساكر ليحفظوا البلاد ، فيضطرون الى أموال ينفقونها . ثم هم مع ذلك في هم وفكر في تحصيل الاموال وتدبير الرعايا في خوف وحرص .
- (٥٢) غ ، يا ، خ ، أصمت : أنصت ، ل .
- (٥٣) غ ، ص ، ان فطنت له : لو ، ل ، يا ، خ .
 رشحوك : فلان يرشح للوزارة أي يرى ويؤهل . الهمل : الابل بلا راع .
 قد ربوك واهلوك لامر ان كنت تعلم باطنه في مرادهم منك ، فاهرب منهم ولا تطاوعهم على ما يرومونه منك ان أردت أن لا ترعى هاملاً فتعود سدى .
 يحذر نفسه من أعاديته الذين يسعون في قهره وحساده الذين يريدون هلاكه ويتمنون وقوع الاذى به .

التحليل والتعليل

(١)

يفخر الطغرائي بأصالة رأيه وبفضله وبمجده .. وليس لاحد أن يكذبه في دعواه وهو الذي بلغ في عصره المنزلة المرموقة علما وأدبا وسياسة ..

ولكن ، لم هذا الفخر ؟ وما الداعي اليه ؟ انه مشوب بشيء من الشكوى والمرارة ، لقد فقد صاحبه شيئا عزيزا عليه ، قد يكون أهم ما يملك ، وأكبر ما يرى في الحياة ، وفيه عزته وكبرياؤه . واذا ما أصيب المرء بمثل ذلك خف الى رصيده الاول ، يستنجد ويستعينه . وهكذا ، يكون الفخر ، تعويضا عن الفقد ، وتعزيزا لنفس مضامة ، وتغطية لخيبة ، وتماسكا أمام هذا الناس الذي ألفه على غير ما حل به وصار اليه .

ولو كان فخرا للفخر ، لما كانت هذه الـ « فيم » ، « فيم الاقامة بالزوراء ؟ » ، ان فيها أسى شديداً وعتابا للنفس مرأ ، انه استفهام صدر عن أعماق نفس مثألة وغير راضية عن اقامتها في بغداد ، ودعوة الى الهجرة ، وتبرير لهذه الدعوة بأكثر من سبب ، فهو في موقف من يريد أن يقنع شخصا آخر ما زال مشدودا الى بغداد بشيء ، فوالى الادلة الداعية الى الهجرة . ليس للشاعر في مدينة السلام أهل أو

عمل أو مال أو صديق ، وانه قد طال اغترابه واشتد به الحنين ، ولا بد من العودة ،
رضي أم لم يرض .

واذا تركنا المكابرة جانباً ، وتناسينا مسألة الاغتراب والحنين وما الى ذلك من
الالفاظ التي هي « شعر » وتبرير أكثر منها واقعا ، رأينا انه لا بد من العودة اعترافا
بالواقع وخضوعا للمنطق .

لقد جاء الطغرائي بغداد وأقام فيها من أجل شيء عزيز عليه ، سعى نحوه حيثما
وطويلا ، ألا وهو « الصدارة » أو « العلى » - كما سماه . لقد قصدها فرحا وخف
اليها طربا وحسبها الجنة الفيحاء والدنيا السعيدة . ولم لا ؟ وما قيمة الإقامة في
مسقط الرأس ؟ انها تورث الخمول والفقر ! واليوم يحدث ما يحدث ، فيصاب
الرجل في طماحه ، فاذا بغداد غير بغداد. أمس ، لقد أنكرها ، وتكرر لها . وبغداد
هي هي ، وما للطغرائي معها عداوة خاصة ، أو كره معين ، انما ينطق تحت وطأة
ظرف قاس .

واذا فما عليه الا أن يرجع ، أي يقتنع بالرجوع . وهذا هو القول الصحيح
.. أما الحنين فمسألة طارئة جاءت علة لركوض عن غاية ، ودعوة لتمويه عن دعوة
أخرى ، ويقظة لأمر ثانوي كان راقدا يغفل في رقوده . والا ، فأين كان أمس هذا
الحنين ؟ لقد أمضى الرجل عمره في الاسفار والغربة والاقامات البعيدة عن « الاهل »
والوطن .. فلم يبد عليه مثل هذا الحنين الجامح !

مهما يبالغ المرء في اخفاء السبب الحقيقي ، يعجز ، حتى لو كان ذلك من
امالي العاطفة ، ويعد الى الصراحة وهي أجدى . واذا فلا بد من الرحلة . وطبيعي
أن تكون نحو أصفهان حيث الاهل والاحبة وحيث يمكن أن ينعم بالدعة ويسكن
الى الراحة - أو الى الكيمياء ، هذا هو الطبيعي .

(٢)

وليس من الطبيعي أن يحدثنا عن أشياء ليست بذات صلة بما هو عليه من
الحالة النفسية وعزم أكيد على الهجرة .

لقد حدثنا عن رحلته ، وعن معدات رحلته ولكن على غير ما انتظرنا ، وعلى غير ما تقتضيه طبيعة الاشياء • فلقد بدأ يتحدث عن رفيقه في السفر مادحاً خلقته وخلقته بين استواء القامة والشجاعة والشدة حينا ، والرقه حينا ••

سار هو ورفيقه في ركب ، حتى اذا أخذ منهم التعب مأخذه ، ومضى من الليل أكثره ، وغلب النوم على هذا الرفيق الذي أعده الشاعر للملمات •
وها هم أولاء يقتربون من الهدف ، والرفيق نائم أو شبه نائم ، فيهزه ، ويعاتبه ويوقظه •

ولكن ما الغاية التي دعاها الشاعر « بالجلى » ؟ أول ما يتبادر الى ذهن من استوعب المقطع الاول ، بلوغ الوطن •• أو •• اذا كان لا بد من الابتعاد عن الجو قليلا •• العلى ، كأن يكون الشاعر قد ثاب الى نفسه فعاود الجد من أجل تحقيق مطمح •• أما أن يكون غير هذا ، فلا •• أن يكون غيا يحمل الشاعر لان يطرق أحياء الناس الساهرين على أعراضهم ، فيندس تحت ستار الليل الى خدر « امرأة » يدعي انه يحبها ، ويدعي أكثر من ذلك ، بأنها تحبه ، وان في رضاها وتقبلها •• شفاء لما هو فيه من سقام وعلل •• أما هذا ، فلا •• وليس الظرف ظرف غزل ومغامرة هي أشبه بمغامرات امرىء القيس وعمر بن أبي ربيعة ، وحتى هذان الشاعران لم يكونا ليفعل ما ادعاه الطغرائي لو كانا مكانه •

إذا ، لابد من أن يكون في الامر شيء آخر ، أو أشياء أخرى هي غير ما يبدو للناسظر • فما هو ؟ وما هي ؟

ان أمر الغزل غريب في بابه ، ونشاز في مكانه • ولو جاء في مطلع القصيدة لقلنا انه ضرب من التقليد ، فقد درج شعراء العربية على افتتاح قصائدهم بالغزل • وكل ما يمكن أن يقال في هذه الحالة ، ان الشاعر خضع للتقليد أكثر مما يجب • فلقد اعتدنا - أكثر ما اعتدنا - أن يكون الغزل في مطلع قصائد المديح • أما في قصيدة تقال في الظرف الذي يعاينه الطغرائي فغير مألوف وغير مستساغ •

ولكنه لم يأت في بداية القصيدة • وهذا ما دعا الى الاهتمام والتسأل • وقد

يدعو تقصي الاسباب والاعذار الى الاغراق والاغراب • وفي سعي من هذا الوادي يلمع في ذهن المرء اقتراض خلاصته ان الطغرائي لم يتغزل ، وان هذا الذي يبدو غزلاً ليس من الغزل بالمرأة في شيء ، انه غزل بالمجد ، ورمز عن هذا المجد بالمرأة الممنعة الجميلة • ولا يبلغ المجد بيسر ، فلا بد من مغامرة ولا بد من سهر وأعوان •

الاقتراض جميل ، ولو صح ، لكان أجل وأدخل في مسيرة القصيدة وألصق بالحالة النفسية التي يأتزم بها الشاعر ، ولكن تصديقه ليس سهلاً ، فما ألف مثله في شعر الطغرائي وشعر عصره وجملة الشعر العربي • ثم ان الشاعر حين جرى في غزله انفصل انفصالاً تاماً عن الحالة التي كان عليها ، ولم يدع ما يشير الى مجده وطماحه من حرارة أو ابداع^(١) • ولم يبق الا غزل تقليدي لا فضل لصاحبه أكثر من التمكن في البناء الخارجي • ولقد بعد عهد أبي اسماعيل بالغزل الصادق فقد نيف على الخمسين وتزوج أكثر من مرة ورزق أكثر من ولد - ولات حين غزل • وإذا ، فما عليه الا أن يعمل فكره في جمع عناصر متفرقة من هنا وهناك مما ذاع في الشعر العربي في المرأة والجمال والسرى • • ومما قام منذ قام امرؤ القيس (وقبله) - وشتان •

بقى أماننا مجال آخر ، أن يكون هذا المقطع الغزلي دخيلاً على القصيدة ، وقد دسه الشاعر متأخراً عن الظرف الذي نظمها فيه ، في احدى قراءاته ومراجعاته •

انا اليوم نفضل أن تكون اللامية مجردة من مقطعها الغزلي • ولم يكن تفضيلنا هذا قائماً على الاقتراح وعلى الدراسة الداخلية لها فقط • فلقد رويت مرة كما نريد ، رواها ثقة هو أبو الفتح عبدالرحمن بن أحمد بن الاخوة عن الشاعر نفسه ، وقبل أن يكون للشاعر ديوان^(٢) •

(١) لا يخلو من فائدة ان نذكر ما جاء في « أعيان الشيعة » للعاملية ٧٩:٢٧ « وفي « الرياض » • • كان (الطغرائي) مشهوراً بمعرفة الكيمياء • • ولاشتهاره بعلم الكيمياء قيل عن لاميته • • انها رمز الى علم الكيمياء • وهو خيال فاسد » •

(٢) ينظر ابن جماعة في التعليقات ٧٤ب •

أجل ، فما أنسب أن تنتقل من المقطع الاول الى الثالث .. من :

والدهر يعكس آمالي ويُقنعني من الغنيمة بعد الجد بالقفل
الى : حب السلامة يثني همَّ صاحبه عن المعالي ويفري المرء بالكسل

وكان المقطع الغزلي لم يكن • وهنا تقول ، ومن حقا أن تقول وتعرض بهذا الفرق « الهائل » بين المقطعين : مقطع ينتهي بالأس والاستسلام ، ومقطع يدعو الى المعالي والعلو والعمل وتحمل المشاق وقطع البيد ومواصلة الاسفار ..

وطبعي ان هذه الاسفار غير الاسفار التي دعا اليها في مقطعه الاول مما يتصل بالهجرة واللياذ بالسكنة في ربوع الوطن .. انها أسفار جديدة ، انها استئناف العمل والسعي ، واستئناف الطمع والطماح ..

إذا ، لقد اتضح الفرق وبانت الهوة ، وأين الاستسلام من المقاومة غير اليأسه ! والحق معك ، لانك تزن الامور بالميزان المنطقي ، بمنطق العقل ، والعقل ألوان - ان شئت • وإذا ، فالفرق هائل ، وسياق المنطق يدل على أن الرجل ، بعد أن يشقر الهجرة وحبها الى نفسه ونفذه - هذا ما يقوله المنطق العقلي • ولكن المنطق النفسي لا يشترط ذلك ، وانه يجيز ما وقع فيه الطغرائي بل يؤيده ، فان هذا الذي بدا تناقضا واضطرابا هو أدل على صدق الشاعر وعلى اعرابه عن حالة حادة يعانها ، فما يكاد ينتهي الى شيء حتى يثور ويحطم ما بنى ليشيد خطة جديدة لا ينفك يجمع لها الادلة والبراهين •

فهو هنا يدعو الى العمل والى المخاطرة والى قطع البيد ، ويهجن حب السلامة الذي يحول دون المعالي ويفري صاحبه بالكسل ويورثه المذلة والمسكنة - وكأنه شاعر آخر غير الذي رأيناه في مطلع القصيدة •

وهو صادق في دعواه ، مطمئن اليها يزجها بكل تأكيد وبغير قليل من التضج والحدة • ولا غرو فهو في شدة وازاء نفس عنود •

ولكنه مهما يجمع الأدلة ، ومهما يستنجد بعقله الواعي لا يستطيع أن يقنع نفسه ، أو قل ، لا يستطيع أن يصد الألم الطاعني ويدفع الاسى المسيطر • فأين هو من المعالي ؟ ومن العز ! ومن « فادراً بها » ؟ وواقعه مر ، وحاله يشعر بالخيبة • وإذا صعب عليه تعليل الأشياء بما يليق برجل رصين ، انحدر به الضعف الى « الحظ » وكأنه كل شيء ، فهو الذي يأخذ ، وهو الذي يعطي ، فراح يدعوه ويعاتبه ويناقشه - وهيهات •

ولمحة من لمحات العقل تريه استحالة ما هو فيه ، وغرور ما هو عليه ، انها أعاليل بأباطيل ، لا تحل مشكلاً - وان خفنت وطأ •

فأين هو ؟ وكيف ينسجم وعصره ؟ انه صعب المراس ، شديد الثقة بنفسه ، معتد بقيمته ، مترفع عن الدنيا • انه لم يرض عن أيام كان فيها معززا مكرما ، فكيف يرضى الآن ، مهما يكن أمره ؟ كيف •؟ والدولة دولة أوغاد ، والحكم حكم جهال ، وقد علاه من كان دونه بأشواط • كيف يرضى ؟ ذلك بعيد •

لم يكن كاذبا اذ وصف السلطة عام ٥٥٥ بما وصفها ، فذلك مما يؤيده التاريخ • ولكننا نسأله : أين كنت قبل اليوم ؟ انه لم يجد قبل اليوم ما يدعوه لمثل هذه التصريحات ، ولم يكن على الحالة التي تريه حكام عصره على الشكل الحقير والاحقر • كان سجين مطامحه ورهين أمانيه ، كان في طريقه الصاعد لا ينظر يمتة أو يسرة • أما وقد حيل بينه وبين القمة ، فكل شيء واضح ازاءه على حقيقته وعلى أحسن من حقيقته ، وان له من الوقت ما يستطيع معه أن يتبين ويتفحص ويتأمل ويحكم •

بل انه ازاء نفسه وجهها لوجه ، هذه النفس التي غررت به وأوقعته في مهاوي الآمال البعيدة وفي « تمنى فسحة الاجل » • انه ليعاتبها ويقول لها : تستأهلين ، ذوقي • ولكنه لا يستمر طويلا ، لانه رجل لا ينسى ذاته طويلا ، وله في مجده الماضي أعظم مظهر للتعزية والسلوان ، فهو الشمس وسواء زحل •• وإذا انحط

فهو الشمس على أي حال • ومثله لا يئس ، وما عليه الا أن يصبر ، فإذا ضاقت به الوسائل فليكيف عنها ، وليصبر وليتظر المصادفات و « حادث الدهر » •

من الصعب على امرئ عرف بالطغرائي ورأى ما رأى الطغرائي أن يستسلم بيسر ، ومن دون ثورة نفس وتضارب أفكار وتصادم هواجس وضرب أخماس بأسداس وكبرياء وتعاضم وسخط على الدهر والحظ •

(٦-٥)

كل هذه « عموميات » يرسلها الطغرائي دون تخصيص لانه تحت مجموع الكارثة ، لا يراها مجزأة ولا يحدها بسبب واحد ، انه يتخبط لان الضربة شديدة •• حتى اذا اتضحت الامور قليلا ، قارب التخصيص فصاح :

أعدى عدوك أدنى من وثقت به فحاذر الناس واصحبهم على دخل
واذاً ، فمن مأمنه أتني الطغرائي واذا أصدقاؤه ألد أعدائه ، لقد أوقعوا به ، وأنزلوه من مجده • ولم يزو على ذلك في التصريح ، كأنه يرى نفسه أكبر من أن تنزل الى مثل هذا الدرك أو كأن المسألة أكبر من ذلك^(١) • فلقد ضاقت الدنيا على أشد ما يمكن أن يكون عليه من ضيق ، وانه لم يعد حتى ذلك الطغرائي الذي يكابر وهو في منزلة ذلة ، ويفخر وهو في موطن عزاء ، ويأمل وهو في ميدان يأس •

أجل ، لقد ضاقت وانتهى عالم •• وبدأ عالم أسود ، كل ما فيه يدعو الى التشاؤم بحرارة وحماسة و « صدق » : أهل هذا العالم قوم أعداء ، شيمتهم الغدر ، كذابون ، لا يمكن أن يعيش بينهم امرؤ حسن النية يثق بالآخرين ، صادق ، اذا قال فعل •• انه لعالم حالك وحقير ، ومؤلم أن يكون عالم الانسان •

لقد رأى الطغرائي عالم عصره خلال تجربته الخاصة ، ولكنه ما زال يوسع

(١) ومما يذكر انه كان في البائية أكثر تفصيلا •

الخاص ويوسعه حتى جعله عاما • وله في حقيقة السوء الذي كان عليه المصر مساند ، وهكذا يكون قد قدم لنا صورة لزمانه ، ويكون قد استوعب المجتمع الذي احتواه •

واذا كان العالم كذلك ، والناس كذلك ، أصبحت النتيجة الحتمية واضحة ، وهي نفسها التي انحدر اليها الطغرائي - بعد تردد وممانعة - ألا وهي اليأس أو القناعة - ان شئت •

ولكن نفسا يحملها الطغرائي « لا تقنع » من غير أن تعب صاحبها ، انها على الرغم مما قاست وعانت ومما انتهت اليه ، ما زالت تنطوي على بقية من طمح وشرارات من أمل •• مما استوجب الحجاج وزيادة الادلة والبراهين : فالعيش كدر ، ومصة الوشل تغني عن البحر ، وملك القناعة لا يخشى عليه ، والدنيا فانية ، والصمت منجاة •• الخ •

ترى هل قنع ؟ يبدو • ولكن ذلك صعب على مثله • ان الادلة التي ساقها تقنع غيره وترضي سواه ، أما هو فاذا رضي فالى حين واذا صمت فعلى مضض واذا يشس فعلى أمل •

اللامية عبر التاريخ

(١)

هذه اللامية اذاً سجل لأطوار قلب ناثر ونفس طعين ، عبرت عما يكتنف الشاعر من طماح وقناعة وأمل وألم واقامة وهجر وحب وكره . ان العواطف لتجري حارة في عروق القصيدة ، عميقة ، عنيفة ، صادقة ، أصيلة ، بلغة سليمة هي لغة الشاعر العربي المتمكن الكبير .

كل ذلك من غير افتعال وكذب وضجيج مخلق وقرقة متكلفة ، ولو لم تكن كذلك لما كان لها شأن يذكر حتى اليوم ، ولذهبت مذهب عشرات القصائد التي قامت شهرتها على الزيف وفساد الاذواق والظرف الأنبي .

لقد أولع عدد من الدارسين برد معاني اللامية الى أصولها ، أو بمعنى أدق رد معنى أبياتها الى أبيات شعراء سبقوا الطغرائي ، كأنهم يريدون أن يقولوا ان الطغرائي أشار اليهم أو أخذ عنهم أو سرق منهم .

ومحاولة رد أبيات الطغرائي الى غيره من أمثال المتنبى والشريف الرضى والمعري ليست مستحيلة ، أو مطلقة في العبث . وقد عمل ذلك الصفدي بحسن

نية^(١) ، ولعل الذي بعثه سعة علمه وغزارة محفوظه^(٢) وتطبيق لخطه يجعل بها شرحه للامية كتاباً أوسع من « شرح » . ثم ان مبدأ « الرد » مألوف في الدراسات الادبية القديمة ، وظل حياً عبر أجيال حتى انتهى - فيما رأينا - الى استاذنا المرحوم طه الراوي ، فلقد كتب مقالات يرد فيها للامية الى غير صاحبها مستعينا بالطريق الذي مهده الصفدي وبالمثله التي أوردها . ولكنه تميز عن الصفدي بالشدة في الحساب والعنف باللهجة . وأكبر الظن انه كان كذلك بسبب ما كان معلوماً من أن الطغرائي فارسي عجمي^(٣) .

وعلى أي حال فلقد انتهى المرحوم الراوي الى « أن الرجل أغار على المعاني الرائعة لمعاصريه ومن قبلهم فاعتصر منها خلاصاتها ، ثم صبغها بالالوان البراقة الجذابة ، وأبرزها للناس على انها نتاج قريحته ، ووليدة يراعته ، فأقن الناس ببريق تلك الالوان ، ونسوا ما وراءها من سبايا المعاني البارة التي لو أطلقناها من عقال الوزن والثقافة لرجع كل الى أصله واعتز بانتسابه لاهله ، ونحن لا نريد أن ننكر على الرجل انه من بدعة الصاغة ، ومهرة المصورين ولكننا لا نشك في أنه أقدر الناس على الانتفاع بنتاج غيره موهماً انه من نتاج فكره »^(٤) .

ومن يقرأ الصفدي وما ربطه بين أبيات الطغرائي وأبيات سابقة (ولاحقة) يحس بأن في هذا المذهب كثيراً من الجهد الضائع والتعسف ، ولكنه لون عقلي يحقق لصاحبه البراعة أمام الناس ثم ان بعض الروابط لا تخلو من طرافة وصحة حتى ان القارئ ليقنع بصحة علم الطغرائي أو قصده في الاخذ أحياناً . ولم يبد أن الصفدي كان يقصد الى التشفي أو الى الحط من شأن الطغرائي ولا أن يمهّد للحط من هذا الشأن . ذلك أن شيئاً من الربط بين معنى بيت أو أبيات لشاعر كبير مع بيت أو أبيات لشاعر سابق مألوف في الشعر العربي ، وقد أطال الباحثون درس

(١) الصفدي ، الغيث ٠٠

(٢) السبكي ٩٤:٦ ، العسقلاني ٨٧:٢ .

(٣) الراوي ، الصبح . وزاد ولده الاديب حارث ان المرحوم والده كان يحب بغداد حباً جماً ، وربما كان لموقف الطغرائي منها أثره في ذلك .

(٤) نفسه ٦:٤ .

هذه الظاهرة وكانت لهم - والآمدي^(٥) في مقدمتهم - آراء صائبة في الانصاف وفي التمييز بين ما كان سلباً أو سرقاً أو أخذاً وبين ما كان تجميلاً وتأثراً غير مقصود .
حقاً ان بين أبيات اللامية ما يتصل بالبيت الفلاني والفلاني من شعراء سبقوا ، ولكن هذا الاتصال لو كان أخذاً وسرقاً لما كان للامية شأن كبير ، مهما أوتي صاحبها من مهارة وقدرة على السبك والرصف والصياغة . ان شعر التمكن لا يدوم طويلاً ، ولا ينطوي على قوة وعنف مما تنطوي عليه الآثار الاصيلية . وانه - أي شعر التمكن انما يضطر اليه الشاعر عندما يتكلف المواقف ويقصد من شعره الى المسابقة الشكلية ، وعندما يقول وهو هادئ النفس غير منفعل وفي موقف لا يمت اليه بسبب قوي . ولم يكن الطغرائي كذلك ، لقد كان متمكناً - دون شك ، وبارعاً دون ريب - ولكنه كان منفعلاً ، وكان يتحدث بعنف وصدق عن أوصل الاشياء بكيانه - ولات حين سرقة وتفكير بالسرقة .

ولنبداً بالبداية . قال الطغرائي :

أصالة الرأي صانتي عن الخطل وحلية الفضل زانتي لدى العطل

فعبّر بذلك عن القمة النفسية التي كان عليها والتي دعت الى قول الشعر بعد امتلاء نفسه بالكارثة التي حلت به ولم يجد ما يقوي به وجوده غير الرصيد القديم وغير الاستعلاء عن صفائر أمور الدنيا ؛ الحالة حالته ، ولقد عبر عنها كما يجب وكما يشاء . أما الالفاظ فهي ألفاظ العربية وليس لاحد أن يقول ان (اصالة) هي لفظة فلان و (الخطل) لفظة فلان و (العطل) لفظة فلان . انها لو كانت كذلك لما جاءت على هذه القوة .

ويأتي الصفدي^(٦) فيشرح ويعرب ويفسر ثم يقول : قال الشريف الرضي :

ان يبل ثوبي فاني أكتسي حسبي أو ترد خيلي فاني راكب منني
لقد تقدم بي فضلي بلا قدم أعظم بأمر على ذي السن قدمني^(٧)

(٥) الآمدي : الموازنة بين الطائيين . .

(٦) الصفدي ١: ٥٠٠ .

(٧) ينظر الديوان ١: ٥٤٣ .

ويذكر بعد ذلك أبياتا لشعراء آخرين لا قيمة لها وبينها ما هو لشعراء متأخرين عن الطغرائي ولا يربطها الا بما يتوهم ، وما يمكن أن يكون من قرابة في المعنى العام . ذلك منهجه . ولكن ماذا يعني ذكر بيتي الشريف الرضي ؟ يعني الشبه في الحالة التي عبر عنها الشاعران والتي دعتهما لان يفخرا ، ويفخرا بفضلهما غير مباينين بهرج الدنيا من ثياب وزينة . وليكن . وحسنا فعل الصفدي اذ لم يقل ان فلانا أخذ أو سرق من فلان ، ولم يقل ان بيت فلان خير من بيت فلان . وان « الشريف لم يكتف باكتساء ثوب الحسب ، حتى ركب خيل الكرم . والطغرائي لم يزد على أن وضع الحلية موضع الثوب واني لعلی ثقة بأن الذوق السليم يستحلي كلمة الشريف ويفضل ثوبه على حلية الطغرائي لان الرجال خليون بأن يتجملوا بالثياب ، أما الحلية فمن خصائص ربات الحجاب (٨) » . ان هذا ما لم يمر من الطغرائي ببال ، وما لا يمر ، ، ولا ينسجم والحالة التي هو عليها ، وما كان موقفه موقف حلية « نساء » ، انما كان جلال رجال ، وكان حلية فضل ان أردنا الصراحة . ولم يكن بين كلمتي الفضل والحلية فاصل .

وقال الطغرائي :

مجدي أخيرا ومجدي أولا شرع
والشمس رآد الضحى كالشمس في الطفل

وهو تمة طبيعية لسابقه وتجسيد للأزمة التي وقع فيها الشاعر ، ولم تحل (رآد) و (طفل) دون فهم البيت ، ولم تكن الكلمتان من الغرابة والثقل بحيث يكدران الصياغة :

ويقول الصفدي : « وقد أخذ الطغرائي هذا المعنى من قول أبي العلاء المعري حيث قال :

وافقتهم في اختلاف من زمانكم والبدر في الوهن مثل البدر في السحر
فهذا هذا ، خلا ان ذاك في الشمس وهذا في القمر ، ولكن قول المعري

(٨) الراوي ، ٢:٦ .

ألف عبارة وأحسن إشارة لأن الطغرائي أغرب في لفظتي رَأد والطفل وعدوبة
الالفاظ أمر مهم في البلاغة^(٩) .. »

ان القرابة بين الشطر الثاني للبيتين قائمة ، ولكن هل كان بيت المعري
حاضرا في ذهن الطغرائي وهو ينظم ما يعاني ويكابد ؟ لقد سمح الصفدي لنفسه
أن يجزم بالاخذ . وقد يكون له ما يبرر ، لكن ما باله يقول ان بيت المعري أَلطف
إشارة ، ويقول ان الطغرائي أغرب .. ليس من حقنا أن نتخذ من الغرابة والسهولة
سلاحا ذا حدين . ولو سمحت لنفسني بمثل ما سمح به الصفدي لفضلت بيت
الطغرائي ، ولكن لا داعي لذلك .

وقال الطغرائي :

فيم الإقامة بالزوراء لا سكني بها ولا ناقتي فيها ولا جملي
وهو منسجم تمام الانسجام مع سابقه ، بل انه المعنى الطبيعي الذي جرّاه
اليه ، وسبقا لتقديمه . فماذا قال الصفدي ؟ قال : « .. انظر الى قلقه في بيت
الطغرائي لانه عطف الناقة والجمال على السكن ، ولو عطف ما يناسب ذلك من
أهل وولد لكان أحسن وأوقع في النفس^(١٠) » ، هكذا فهم الصفدي ، لانه من قوم
يقيمون تقدمهم على المعاني القاموسية واللفظة ومعناها ، فرأى في البيت سكناً وناقة
وجملا ، فرأى قلقا ، أما نحن فنرى ما رآه الطغرائي : سكناً ومالاً ، ذلك ان
« لا ناقتي فيها ولا جملي » تعني المال ، وتستطيع أن تقولها - كما هو الشأن في
الامثال وأبواب التجوز - في مواقف لا صلة للناقة والجمال فيها . كما هو في بيت
الطغرائي وكما هو في الحال التي كان يحس بها^(١١) .

وقال الطغرائي :

ناءٍ عن الاهل صفر الكف منفرد^١ كالسيف عُرِّيَ متاه عن الخلل

(٩) الصفدي ١: ٥٢ .

(١٠) الصفدي ١: ٧١ .

(١١) ذكر الميداني ٢: ١٤٤ . ط بولاق ١٢٨٤ : « يضرب المثل عند التبصري

من الظلم والاساءة » .

وقال الصفدي : « وما أحسن ما كشف المعري هذا المعنى بقوله :
وان كان في لبس القتي شرف له فما السيف الا غمده والحمائل
وقال البحري يعزي بولد :
تعرَّ فان السيف يمضي وان وهت حمائله عنه وخلاه قائمه
وقال النمر بن تولب :
فان تك أثوابي تمزقن عن قتي فاني كنصل السيف في خلق الغمد
وقال لييد بن ربيعة :

فأصبحت مثل السيف أخلق غمده تقادم عهد القين والنصل قاطع (١٢)
وليس لاحد أن يجروا فيقول ان الطغرائي سرق معناه من سابقه ، بل اننا
لنسائل عن سر ذكر هذه الايات التي ورد فيها « السيف » . ان ذلك ما يمكن
أن يخیل الى القاريء ان الطغرائي يسرق - وصدق الراوي اذ قال « ان هذا المعنى
ملقى على مدرجة السابله » (١٣) .

اننا لو أردنا أن تتبع مذهب الصفدي وتابعيه أطلنا وأتعبنا دون نتيجة . وما
يمكن أن يقال في أبيات لامية الطغرائي يمكن أن يقال في كل قصيدة مناظرة .
ومع هذا ، لنقف عند البيت :

وضج من لعب نضوي وعج لما ألقى ركابي وليح الركب في عذلي
فقد قال الصفدي : « في قوله وضج من لعب نضوي غنية عما يقول فيما
بعده : وعج لما ألقى ركابي ، لان المعنى واحد ، فكل منهما يعني عن ذكر الآخر ،
فان ضجيج النوق هو عيج الركاب (١٤) » . وقد أخذ بيت الشريف الرضي برمته

(١٢) الصفدي ١: ٨١ .
(١٣) الراوي ٦: ٣ .
(١٤) الصفدي ١: ١١٢ .

من قوله :

•• ووقفت حتى ضج من لعب نضوي ولج بعذلي الركب (١٥)

أما أن يكون الطغرائي قد أخذ بيته من بيت الشريف الرضي فذلك ما لا يحتاج الى نص ، ولا الى ضجيج وانه ما لم يرد الشاعر اخفاء بعد أن أخذه بنصه • ولتذكر ان الطغرائي الآن في « مقطع الغزل التقليدي » من اللامية • واذأ فلسنا بصدد الاصلة والحالة النفسية ، انما هي صناعة وبراعة في الصياغة • والحقيقة ان الصفدي بالغ عندما أخذ الطغرائي على : « وعج لما ••• » كأنه يريد أن ينفي من طرائق اللغة العربية الازدواج وما يشبهه ، وكأنه يجهل الايقاع الموسيقي الذي ولد من توالي ضج وعج ولج ••

كما ان من يقول :

تقدمتي اناس كان شوطهم وراء خطوي اذ أمشي على مهل
لا يضمر اخفاء المصدر الذي أخذ منه ، فما كان الشريف الرضي نكرة ، وقد قال :

فلم أنسا كالفريب وراء قوم لو اختيروا لقد كانوا ورائي (١٦)

ولكن الحالة واحدة ، وجاء بيت الطغرائي منسجما كل الانسجام مع ما قبله وما بعده ، وقد يكون أمتن وأعنف من بيت الشريف الرضي ، الا أن الصفدي لم يذكره ، ولم يشر اليه •

وبعد

فمن الظلم أن نجرد اللامية من كل معنى أصيل ، وأن نتهم صاحبها بأنه استل معانيه من غيره الماما وسرقة وسلخا • فنحن لا نشك أن الطغرائي حفظ كثيرا واعجب بروائع الشعر العربي والشريف الرضي ، وانه اخترن ما حفظ ، وتسرب

(١٥) نفسه ١ : ١١٦ •

(١٦) ديوان الشريف الرضي ١ : ١٧ •

نسغ منه الى أشعاره ، ولكن اللامية جاءت أصيلة أعربت عن حالته النفسية التي عاناها هو من دون تلكؤ ومن دون ما يشير الى انه كان يعتمد الى التقليد والمعارضة والاخذ ، فلقد كان من السيطرة بحيث أعرب طواعية وجرى هذارا • وإذا ما ورد على لسانه - وهو في هذه الحالة - لفظ أو معنى أو تركيب لآخرين فذلك مما أملتة الحالة المشابهة ومما انساب انسيابا ، ومما يدخل بمضه في باب التضمين • وما كان الطغرائي من الغباء بحيث يجهل ان الناس يعلمون ان المعري قال :

واني جواد لم يحل لجامه وعضب يمان أغفلته الصياقل
وان امرأ القيس قال :

وقد طوفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب

(٢)

وما قيل في المعاني يمكن أن يقال في وجوه البلاغة العربية ، وانك لواجد في اللامية كثيرا منها : الطباق ، المقابلة ، الجناس ، التقسيم ، الاستعارة المكنية •• مما لا داعي الى النص عليه •

ولا نشك أن الشاعر كان يرغب في أن يحلي نظمه بهذه الوجوه ، وان عصره كان يرتاح اليها ويطلبها •

ولكنها جاءت في اللامية مقبولة وغير مستقلة أو قل انها جاءت سهلة على لسان معود ومن قريحة ثرة وفي حالات نفسية تمنح الصناعة طبعاً ، والعظام لحما فتسجم فيها العناصر المختلفة وتهبها قوة وحياة •

ولا تنس ان الشاعر صناع ماهر مضت عليه - قبل اللامية - أكثر من ثلاثين سنة وهو يحوك وينسج ويهيئ آلاته •

وكان طبعياً أن يبدو أثر الصناعة على أبرز ما يمكن في مقطع الغزل التقليدي حيث تخف الحدة ويضعف النفس ويكون للمؤلف متسع من الوقت يبذله في

التميق ، وثروة من التراث يستغلها في البناء •

ولغة اللامية من أفصح ما يكون لفظا ، وأفخمه تركيبا • انها لغة امرىء أخذ
اللغة عن أصولها وتبحر في مظانها ونصوصها ومرن نفسه عليها حتى طوعها لقلمه
ولسانه واستوت لديه اللفظة السهلة والصعبة والقريبة والبعيدة وانه ليركبها وكأنه
لا يفتن الى مواضع الغرابة في الاداة •

ان عددا لا بأس به من المفردات يبدو غريبا علينا وعلى أسلافنا • والا ،
لما سودت الصحف في شرح اللامية وبيان معانيها • هذا صحيح ، وأصح منه انك
حين تقرأ القصيدة لا تواجه هذه الغرابة ، انما الذي تنساق فيه هو الجو - وحسب
الشاعر الفحل أن يخلق جوا ، حتى اذا رحت تحلل القصيدة بيتا بيتا واليت كلمة
كلمة رأيت صعوبة المواد التي كونت هذا البناء الشاهق •
وهذا طبيعي ، لان القصيدة أصيلة وصادقة أعرب فيها الشاعر عما عانى وقد
أصيب في صميم وجوده •

ويتميز المقطع الغزلي بأوفر حظ من المفردات الغريبة ، وهذا طبيعي أيضا ،
لانه تقليد وصناعة وبراعة •

(٣)

أول ما يفهم من قصيدة تسمى « لامية العجم » ان صاحبها عجمي ، أو انها
تمجد العجم وتسجل مفاخرهم عبر التاريخ ومثلهم العليا التي يتميزون بها عن
سائر الامم ، وانها تحمل طابعا من الشعوية وتفضيل الفرس على العرب ، أو انها
تحفظ - في الاقل - معالم أخلاقهم وسمات معاشهم • وألا تكون فردية يتحدث
فيها شخص بعينه عن حادثة خاصة به اكتنفته خلال فترة معينة •

فماذا في اللامية من هذه الامور ؟ ليس فيها شيء • فليس الطغرائي شاعرا
عجميا • هذا أمر أصبح مفروغا منه^(١) ، فلقد نسبته مصادر مهمة لأبي الاسود

(١) أعلاه ، الفصل الاول •

الدولي^(٢) وأبو الاسود عربي وبنو دئل من كنانة من عدنان^(٣) . أما أن يلقب أحيانا بالاصبهاني وانه من مواليد هذه المدينة وفي اسرة تقطنها ، فليس لذلك من دلالة كبيرة ، فلطالما سكنت هذه المدينة أسر عربية منذ دخلها العرب مبكرا في العصور الاسلامية ، وطالما حمل المشاهير نسبا الى مساقط رؤوسهم . وقد كان أبو الفرج - صاحب الاغانى - أصبهانيا قبل الطغرائي ، والعماد - صاحب خريدة القصر - أصبهانيا بعده ، وكلاهما عربي دون شك . أضيف الى أن ليس في شعر الطغرائي ولا في الاحاديث عنه ما يدل على فارسيته . ولم نجد النص على أنه عجمي فارسي الاصل الا لدى مؤلفين متأخرين مثل هيوار ، ونيكلسن ، والزيات ، محمود مصطفى ، وحنا فاخوري^(٤) ..

وليس لهذا أية دلالة ، فهم متأخرون جدا ، ولم يتسع لهم الوقت للتجرد في التحقيق وانهم تأثروا بنسبة « الاصبهاني » وبـ « لامية العجم » .

ثم انك تقرأ اللامية فلا تجد فيها داعيا لربطها بأمة من الامم ، فلا هي للعرب ولا هي للعجم ولا هي لغيرهم ، انها لا تتحدث عن العجم ولا الى العجم بقليل أو كثير ، لا مدحا ولا ذما . ولا يمكن أن تكون مصدرا في دراستهم .

بل انها - اذا كان ولا بد - أصلح أن تكون مصدرا عن أخلاق العرب ومعاشهم^(٥) ، ولا يقصد بذلك أن تكون صفحة من تاريخ بغداد في مطلع القرن السادس ، انما يقصد انها ، في المقطع الغزلي ، تبين صورا من أخلاق العربي

(٢) نقله علي رضائي عن العماد ، وأكده أبو الفدا ١ : ٢٤٧ ، ابن الوردي ٣١:٢ ، البارزي في مختصره لوفيات الاعيان ، وينظر سبط ابن الجوزي وابن جماعة .

(٣) القلقشندي ص ٥٤ (وينظر الفيروز في المحيط) . وقد يرد الطغرائي على : (الليثي) كما في مخطوطة لندن ٧٥٣٠ ، وابن جماعة بسند عن السمعاني ١٧٥ ، وفي البداية والنهاية ١٢: ١٩٠ . وليث بطن من بكر من كنانة كما في القلقشندي .

(٤) في كتبهم عن تاريخ الادب العربي . وفي اعجام الاعلام لمحمود مصطفى .

(٥) ينظر الراوي ٤: ٥ .

والعربية في البداية بين الشجاعة والكرم والحب والكره والاستار والكلل ، سجلتها
باعجاب وتقدير بعد مر قرون •

إذاً ، كيف أصبحت لامية العجم ؟ لا أدري ! فالمؤلف لم يسمها كذلك حين
نظمها وحين رواها ، وحين رويت عنه • ثم كان الديوان الذي جمعه الشاعر نفسه
ولم نجد على رأس القصيدة أكثر من « قال في مدينة السلام عام ٥٠٥ » •

وتحدث العماد الاصبهاني^(٦) - وهو معاصر - ولخص حديثه على رضائي^(٧) ،
ولم يقرنه أو يقرنها بالعجم وإنما اكتفى بأن قال « نبدأ بلاميته » •

ولعل أول تسمية لها بلامية العجم نراها في « ارشاد الارب » لياقوت الحموي
المتوفى عام ٦٢٦ أي بعد تأليف اللامية بمئة وعشرين سنة • وقد قال : « ومن شعر
مؤيد الدين الطغرائي قصيدته التي تداولها الرواة وتناقلتها الالسن المعروفة بلامية
العجم^(٨) » • ومن الممكن أن تكون الالسن التي تناقلتها حملتها هذه التسمية •
ثم يأتي ابن خلكان فيقول شيئاً يشبه ما قاله ياقوت : « المعروفة بلامية العجم^(٩) » •

حتى اذا جاء الصفدي أثنى عليها الثناء العاطر وخصها بشرح مسهب سماه
« الغيث المسجّم في شرح لامية العجم » بل أكد وعلل : « وأما هذه القصيدة اللامية
فانما سميت لامية العجم تشبيها بلامية العرب لانها تضاهيها في حكمها وأمثالها •
ولامية العرب هي التي قالها الشنفرى ، وأولها :

أقيموا بني أمي صدور مطيّكم فاني الى قوم سواكم لأميل

•• وحسبك ان الناس قالوا في هذه القصيدة انها لامية العجم في نظير تلك
بمعنى ان كان للعرب قصيدة لامية مشهورة بالادب والامثال والحكم فان للعجم
لامية مثلها تناظرها ، ، وازافة الشيء الى شيء مشهور أو أعظم تدل على شرف

(٦) الخريدة ، قسم بلاد العجم •

(٧) علي رضائي ، عود الشباب •• وقريب من هذا ما رواه الحسامي في
مختصره لابن التجار فقال : « وهو صاحب القصيدة الغراء التي أولها اصالة
البرأي •• » و٣٥ ب •

(٨) ياقوت ١٠: ٥٩-٦٠ (الحسين ••) •

(٩) ابن خلكان ١: ٢٨٤ (الحسين ••) •

المضاف .. (١٠) ، ،

وفتح الصفدي بأقواله هذه أبوابا لا داعي لفتحها ، وقد ظلت مفتوحة مدى قرون (١١) . فلقد جرّ شرحه - كما سنرى - سلسلة من الشروح تلخيصا وردا ، محتفظة - في الغالب - بنسبتها الى العجم ومقارنتها بلامية العرب . ونقل العاملي عن الرياض : « ومن مشهور شعره قصيدته المعروفة بلامية العجم لأن ناظمها عجمي أصبهاني .. وذلك في مقابلة لامية العرب .. » (١٢) ، وأبدل حنا فاخوري بـ « مقابلة » « تميزا لها عن » (١٣) ، وجر ربط لامية الطغرائي بلامية العرب الاب لويس شيخو ٦ : ٢٠٤ - الى أن يضعها في سلسلة الشعر القديم الذي يقصد به الجاهلي ، فقد جاء الشنفرى - في كتابه - بعد غنّة وجاء الطغرائي بعد الشنفرى . بل ان المرحوم الراوي « فرض ان الذي سماها لامية العجم هو الطغرائي نفسه » . و « ناقشه الحساب على هذه التسمية » وانطلق في المناقشة من مقارنتها بلامية العرب فقال : « هل فكر الطغرائي عند معارضته لتلك القصيدة أن يرسم لنا في قصيدته صورا صادقة من أخلاق العجم ومطاوي نفسياتهم وكيفية معاشهم في حواضرهم وأريافهم ؟ » (١٤) .

أجل ، لقد فتح الصفدي أبوابا ظلت مفتوحة ، وما كان لها أن تبقى كذلك . فلم يسم الطغرائي قصيدته بلامية العجم ، ولم يدر بخلده أن يعارض لامية العرب ، ولم يشهد المقابلة بين « اللاميتين » ، والحقيقة - ولما أبان المرحوم الراوي (١٥) - ليس هناك أي مجال للمقابلة بين اللاميتين ، وليس هناك أي داع . انه لمن السخف

(١٠) الصفدي ١ : ١٣ .

(١١) طاشكبري زاده ١ : ١٨٩ (علم الدواوين) .

(١٢) العاملي ٢٧ : ٧٩ .

(١٣) الفاخوري ، ٧٢٠ .

(١٤) الراوي ٥ : ٤٠٥ . وحمل الاعتقاد بفارسية الطغرائي الكنعاني ص ٢٤ على أن يقول - وهو يقابل بين اللاميتين : « امتازت لامية الشنفرى بالصراحة .. أما الطغرائي فهو يوصيك بالحذر والتكتم .. وهذا التباين ليس بغريب فعربي الصحراء غير أعجمي المدينة » .

(١٥) الراوي ٥ : ٤٠٥ .

أن تعقد مقارنة بين قصيدتين لا رابط بينهما ولا يتشابهان في الوزن أو في إيقاع
لام القافية^(١٦) .

لقد آن لباب المقابلة بين « اللاميتين » أن يسد^(١٧) .

(٤)

لماذا تناقلت اللسان اللامية ؟ كان الطغرائي أول من أعجب بها ورواها ،
وقد يكون مرد ذلك كونها تصور جانباً من نفسه وتؤرخ حدثاً ضخماً في
حياته ، ولأنها شامخة جاءت على صعيد الشعر العربي العالي ، وعلى عموده
المستحب المستعذب في كل العصور دون أن تتسى ذوق عصرها في المعاني
واليان والبديع .

(١٦) شرح لامية العرب الزمخشري (المتوفى سنة ٥٣٨هـ) في كتاب
خاص سماه : « أعجب العجب في شرح لامية العرب » طبع عام ١٣٠٠هـ (في
مجموعة منها المقصورة الدريدية) ، وطبع مع شرح آخر لابن زاكور المغربي
(أحد أعلام المغرب في القرن الثاني عشر) عام ١٣٢٨ (ط ٣) ، « طبع الشرحان
يليهما شرح ابن أحمد المالكي سنة ١٣٢٤ (القاهرة - كما يذكر سركيس ص ١٩٦٤) .
ومن المفيد أن نذكر أن للامية العرب شرحين مخطوطين (صورتهما في المجمع
العلمي العراقي) للسويدي (أبي البركات عبد الله بن الحسين بن مرعي) ويقع في
٦٦ ورقة ، وللشواي (سليمان بن عبد الله) ويقع في ١٧١ ورقة ، تم سنة ١١٣٨ .

والمهم أن هؤلاء الشراح (الزمخشري وابن زاكور والسويدي والشواي) لم
يشيروا إلى الطغرائي أو لاميته وتمسك الشارحان الأخيران بما روى من ثناء عمر
ابن الخطاب على لامية العرب واستدلوا بذلك على عظمتها . وفي المكتبة العباسية
مخطوطة من شرح النقيجواني ، ينظر الخاقاني .

(١٧) بل إن الدكتور البصير ، ص ٧٤ ، يرى أن لامية العرب منحولة ، وإنها
تسبىء إلى سمعة العرب ، وإنها شعوبية قد تكون لامية خلف الأحمر نحلها
الشنفري وسماها لامية العرب ، لأنها تصف العرب باللصوصية وقتل النساء
والاطفال وأكل التراب .

وذكر الدكتور يوسف خليف ص ١٧٧ :

روى القالي عن ابن دريد نصاً يذكر فيه أن هذه القصيدة المنسوبة إلى
الشنفري لخلف الأحمر (الأمالي ١ : ١٥٦) وهو نص له قيمته لأن ابن دريد
كان قريب عهد بخلف . . . فإذا أضفنا إلى هذا أن أبا الفرج قد أغفل هذه =

ورواها عنه المعاصرون

« وتداولتها الرواة » وسُرقت وغرّبت •

ويبدو ان ذبوعها لا يكمن في دلالتها على شاعرية صاحبها بالقدر الذي يدل على ما تضمنت من « أمثال وحكم » يمكن أن يستشهد بها الانسان في سرّائه وضرّائه ، وآلامه وآماله ، وتفاؤله وتشاؤمه • فإذا برم ببلد قال « فيم الإقامة في الزوراء •• » وإذا آثر السلامة قال : « حب السلامة يشني هم صاحبه •• » وإذا حث على التنقل : « ان العلى •• » وإذا ضاقت به الدنيا : « أعلل النفس •• » وإذا برم بساسة عصره : « ما كنت اوثر •• » وإذا اشتد يأسه من الانسان : « اعدى عدوك •• » وإذا دعا الى القناعة : « فيم اقتحامك •• » وهو في كل حال يجد في البيت « البلمس الشافي » والتجسيد المناسب لما هو فيه ، كما يستشهد المرء بالمثل الشائع ، وكما سارت أبيات المتنبي •

ان هذه الامثال هي التي عملت على بقاء القصيدة وتنقلها بين الاجيال ، وعلى عناية الناس وروايتها وشرحها ومعارضتها - وحتى ترجمتها •

ولقد أدركنا جيلا يحفظها ويعتز بها ويرسل أبياتها في مناسبة وأخرى من مناسبات الحياة : فيم الإقامة •• أعلل النفس •• حب السلامة •• وانما رجل الدنيا • ولا شك في أن حفظ اللامية بهذا المعنى ، يدل على أن الناس قدروها بأمر هي خارج طبيعة العمل الادبي وخارج الفن وما حفلت به هذه القصيدة من جلال في التراكيب وفي العواطف ، وما عبر به صاحبها عن حالات نفسية عانها ومتناقضات أثقلت كاهله •

= اللامية في ترجمته للشنفرى اغفالا تاما ولم يشر اليها أي اشارة على كثرة ما روى من شعره (الاغانى ٢١ : ١٣٤-١٤٣) •• وان لسان العرب - على كثرة ما نقل من شعر الصعاليك - لم يرد فيه أي ذكر لها ولاي بيت منها ، بدأت كفة الشك في صحة نسبتها ترجع •
والحق يقال ان خلفا قد صور حياة الصعاليك في هذه اللامية •• حتى ليصح أن نطلق عليها « لامية الصعاليك » لا لامية العرب •

ولم تكن اللامية وحيدة في هذا الباب ، فان أكثر الشعر العربي الذي تناقلته الاجيال الاخيرة كان بمقياس خارجي يتصل بالحكم والأمثال أو بالجناس والطباق •• ولقد « خلد » هذا المقياس كثيرا من الشعر الرديء وعفى على كثير من الشعر العالي •

وصحيح ان في اللامية حكما وأمثالا ، ولكننا لا نعجب اليوم بها لمجرد وجود الحكم والأمثال ، ولا نعد ذلك سرا في خلودها • ان خلود اللامية يكمن في عمق التجربة والعواطف التي عبرت عنها بقدرة وتمكن •

ان هذه العواطف والحالات النفسية التي هي عواطف رجل بعينه عاش في القرن الخامس - السادس للهجرة - من القوة بحيث يحس أنفسهم فيها ملايين الناس في مشارق الارض ومغاربها ، فاذا أصابهم الخير وجدوا أنفسهم فيها ، واذا أصابهم الشر وجدوها كذلك • انها تجربة خاصة ، ولكن صاحبها كان من القوة والغنف بحيث اكسب هذه التجربة الشمول والدوام ، ودل على استيعابه مجتمعه وانعكاساته في نفسه •

(٥)

واللامية من القصائد القليلة التي لقيت عناية مدهشة لدى الشراح حتى زادت شروحها على العشرة (١) :

- (١) شرح أبي البقاء عبدالله بن الحسين العكبري المتوفى سنة ٦١٦ (٢) •
- (٢) شرح صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي (٣) المتوفى سنة ٧٦٤ •

(١) أورد أكثر هذه الشروح حاج خليفة ، باب اللام ، ١٥٣٦ - ١٥٣٧
(= ٢٩٢:٥ - ٢٩٥ ط ٠ فلو جل) وأشار بروكلمان الى عدد من نسخها المخطوطة •
(٢) منه نسخة غير كاملة في الاسكوريال ، وينظر دربنورك ، ٢٠٤ •
(٣) طبع بعنوان « الغيث المسجيم في شرح لامية العجم » وورد اسمه لدى حاج خليفة ، طاشكبرى زاده ١: ١٨٩ (علم الدواوين) وفي بعض الشروح الاخرى على : « الغيث الذي انسجم •• » • ينظر عن الصفدي ، العسقلاني ٢: ٨٧ ، السبكي ٦: ٩٤ •

وهو ضخيم يقع في جزئين • طبع للمرة الاولى عام ١٢٩٠ ، وللمثانية عام ١٣٠٥ وتبلغ صفحات هذه الطبعة ٥٤٤ صفحة • وقد ذكره الصفدي في الوافي عندما ترجم للطغرائي وتحدث عن اللامية فقال : « وقد وضعت عليها شرحا في أربع مجلدات » (٤) •

(٣) شرح الشيخ كمال الدين محمد بن موسى الديميري المتوفى عام ٧٣٩ • وهو تلخيص لشرح الصفدي • منه مخطوطتان في كمبرج ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ • ذكر فيه الديميري « ان الصفدي لم يغادر صغيرة ولا كبيرة من فوائدها الا أظهرها غير انه ينتقل فيه من علم الى علم ومن غريبة الى غريبة ومن نكتة الى نكتة • • فهو غريب في بابه عزيز عند طلابه » فلخصه •

(٤) شرح بدرالدين محمد بن أبي بكر (بن عمر) بن محمد بن سليمان المالكي الدمايني المتوفى سنة ٨٢٨ • واسم الشرح : « نزول الغيث الذي انسجم على شرح لامية العجم • منه مخطوطة في دار الكتب المصرية ، رقم ٩٠٤١ ، ومخطوطة في ليدن ، رقم ١٠٠٦ تقع في ١٢٥ ورقة •

جاء في مقدمته : « • • أما بعد • • فان بعض سكان الاسكندرية ممن يزعم انه من طلبة العلم • • شاهدته يطنب في شكر الكتاب الذي وضعه صلاح الدين خليل الصفدي شرحا على لامية العجم ويرى انه حلو في الذوق ، خلو من العجم • • فكنت أود لو وقفت على هذا الكتاب لاقضي منه الوطر • • فلما ارتحلت الى الديار المصرية في أواخر سنة ٧٤٩ وقفت عليه وقوف منتقد لما فيه من الزيف ، سالك معه سبيل الانصاف منكب عن طريق الحيف فوجدت هذا الصلاح قد ارتكب خطبا جليلا • • فأردت أولا نبذ هذا الكتاب وطرحه • • ثم اردت في الحاضر تبكيث ذلك الكاذب • • فكثبت في هذه الاوراق ما تيسر من الاعتراضات التي عرضت والاتقادات الصحيحة التي آلت المعاند وأمرضت • • وحيث كان ذلك التصنيف موسوما « بغيث الادب الذي انسجم في شرح لامية العجم » رأيت ان اسمي هذه

(٤) الوافي ١١ : ٥٩ •

المنافشات « بنزول الغيث » لأنها التي انزلته الى الحضيض وأوقعت من اعتراضاتها في الطويل العريض^(٥) .

ويسير في المنافشات وكلها في النحو والعروض واللفظة والبديع لا تمس الالامية ولا تتصل بها^(٦) .

(٥) قطر الغيث المسجّم في شرح لامية العجم للشيخ عبدالرحمن الشافعي
.. الطبيب .. مقتديا بالصفدي والدميري^(٧) .

(٦) شرح علي بن قاسم الطبري^(٨) واسمه « حل المبهم في شرح لامية العجم » .

(٧) شرح أبي جمعة سعيد بن مسعود الصنهاجي ثم المراكشي ، واسمه « ايضاح المبهم من لامية العجم »^(٩) . وقد جاء في مقدمته : « .. وبعد .. فان الالامية .. اشتمل عقدها من نفيس المعاني على درر مكنونة .. بيد أن شارحيها لم يشفوا غليل التأمل ، فمن مقصر بمخل ، ومن مطول ممل . فأشار من تتعين عليّ طاعته عند قراءتها عليه وتصحيح ألفاظها لديه بأن أضع عليها شرحا يكشف القناع عن وجوه محاسنها .. سميت ايضاح المبهم من لامية العجم .. وجعلته تحفة مهداة لحضرة الملك الاعظم .. السلطان أبي العباس أحمد بن مولانا الملك الاشرف أبي عبدالله محمد الشريف الحسيني .. »^(١٠) .

(٥) عن مقدمة مخطوطة ليدن .

(٦) في هامش ص ١٢١٢ من سرقيس : « .. منه نسخة نفيسة في الخزانة التيمورية وثلاث نسخ .. في دار الكتب المصرية . ورد على الدماميني علاء الدين ابن ابرص .. المتوفى سنة ٨٦٢ في كتاب تحكيم العقول بأقول البدر بالنزول .. » الخاقاني ، منه نسخة في المكتبة العباسية .

(٧) طبع على هامش « نفحات الازهار على نسمات الاسحار في مدح النبي المختار لعبد النبي النابلسي » ، في بولاق ودمشق ١٢٩٩/١٨٨٧ .

(٨) يذكر حاج خليفة انه توفي في حدود ٦٨٣ .

(٩) انتفع به Van der Sloot

(١٠) عن مقدمة مخطوطة ليدن ٧٧٧ .

منه مخطوطتان في ليدن ٦٥ ، ٧٧٧ . وقد وردت « أبي جمعة » على « ابن جماعة » في كشف الظنون .

(٨) شرح الشيخ جمال الدين محمد بن عمر بن مبارك الحضرمي المتوفى سنة ٩٣٠^(١١) مسموما بالهند . وسماه « نشر العلم في شرح لامية العجم » أوله : « الحمد لله الكريم المنان . . » ذكر فيه انه جرد أكثره من شرح الصفدي واختار محاسن شعره ، واقتصر منه على ما يتعلق بشرح القصيدة وذكر فيه ان الصفدي شرحها فأوعى وأوعب ، وأطنب وأسهب ، وأعجب وأغرب ، وأطلق أغنة الأقلام ، وجر أذيال فضول الكلام ، وأسهل وأوعر وأنجد وأغور ، واستطرد من فنون الى فنون ، واسترسل في شجون من الجد والمجون حتى صار ذلك التطويل سببا للعجز عن التحصيل ، هذا مع ما خرج فيه عن الحد ، وطفى الماء في المد من مستهجنات هزله التي لا تليق بقلمه وفضله بما لا يحل ذكره . بل تخل بالعدالة روايته وسماعه . . »^(١٢) .

مخطوطاته في عدة مكتبات . وقد طبع في القاهرة أكثر من مرة .

(٩) بروق الغيث لابن حجة الحموي المتوفى سنة ٨٣٧ . جاء في مقدمته : « . . أما بعد . . فانه ما خفي على سراة الادب . . من أن الشيخ الصفدي . . أتى في شرح لامية العجم بفضلات غير ملائمة لشدة شغفه بالكثرة . . وقد رُسم لي أن اختصر هذا الشرح . . وكان الشيخ قد سمى شرحه « غيث الادب الذي انسجم » ولكن ما انتظم له انسجامه . وقد أسميت مختصري هذا « بروق الغيث » وهو البروق التي تومض من سواد السطور في حنادس الظلام ، ولم أورد من غيث الادب الا ما تروى به أذواق من تأدب لثلا يقال ان في بروق هذا الغيث برقاً خلباً . فان علامة العصر القاضي بدرالدين الدمايني المالكي المخزومي فسح الله في أجله تقدمني في تصنيف كتاب سماه

(١١) وروى ٩٣٩ . قال سركيس ٥٣٢-٥٣٣ : ولد عام ٨٦٩ بحضرموت ، ووسلك السلوك في التصوف ، توفي عام ٩٣٠ وطبع نشر العلم بمط . كاستلي سنة ١٢٣٨ وبالمطبعة الخيرية سنة ١٣٠٩ ، ١٣٢٠ .

(١٢) حاج خليفة .

نزول الغيث • • •

منه مخطوطة في ليدن ، رقم ١٠٣٦ • وقد طبع في بولاق سنة ١٢٥٠
وانتفع به • H. Van der Sloot

(١٠) شرح جلال بن خضر الحنفي ، ألفه بقسطنطينية في محرم ٩٦٢ •
أوله « حمدا لمن هدانا بأوضح تبيان • • سماه نبذ العجم عن لامية العجم • وهو
شرح مفيد متوسط ، أكبر من شرح أبي جمعة بقليل » (١٣) •

منه نسخة في كمبرج ، رقم ١٠٥٧ ونسخة (ناقصة) في المتحف البريطاني
رقم ٣١٦٤ • وجاء في مقدمته : « • • التمس مني بعض الفضلاء الفخام والادباء
الكرام من أعيان الروم • • أن أشرحها شرحا ليس بالطويل الممل • • ولا بالقصير
المخل • • فاعتذرت • • فلما لم تقبل هذه الاعذار • • التمسيت شرحا من شروحها
لاحذو حذوه • • فسألت عن ذلك جمعا من الاعيان والاخلاء والاخوان • • فلم
يجب أحد عنه • • وكان ربوع هذا العلم قد درست عليه الدارسات • • فاستخرت
الله • • وشرعت • • » (١٤) •

(١١) شرح حسين الكفوي • جمعه من الشروح ، كشرح الصفدي وشرح
القاضي جلال الدين المدني • وذكر اعتراض الدماميني باسمه •
منه مخطوطة في المتحف البريطاني رقم ٢٣٥٩٤ وتشير الى أن الشارح
كان بمكة •

(١٢) حاشية الشيخ عبد الرحيم بن عبد الرحمن العباس المتوفى سنة ٩٦٣
على شرح الصفدي (١٥) •

-
- (١٣) حاج خليفة وقد وردت « أبي جمعة » على « ابن جماعة » في ط •
استانبول ، وابن الجماعة في ط • فلوجل •
(١٤) مخطوطة لندن و ٤ أ •
(١٥) في طبعة فلوجل لكشف الظنون : العباسي •

(١٣) الارب من غيب الادب ، طبع في بيروت سنة ١٨٩٧ •

(١٤) شرح الميناوي • تحفة الراثي للامية الطغراني • طبع في القاهرة
(بولاق) ١٣١١ •

لقد انتشرت اللامية وشروحها في العالم ، ولا تكاد تخلو اليوم مكتبة تعنى
بالمخطوطات من شرح أو أكثر من شروحها •

لقد شرحت هذه الكتب اللامية ، وبلغ شرح الصفدي درجة من الضخامة
تدعو الى العجب • فماذا فعلوا ؟ انهم يبدأون بتفسير المفردات تفسيراً قاموسياً ثم
يعربون اعراباً مدرسياً ثم يخلصون مجمل معنى البيت وقد يستشهدون بأبيات من
هذا الشاعر أو ذاك لكل مناسبة •

وربما كان العكبري أول من سن هذا المنهج في شرح اللامية • ولقد بالغ
الصفدي فيه • ولك أن تسأل ماذا في شرح الصفدي ؟ وكيف تسنى له ذلك ؟ ولو
شئنا القسوة - أو المداعبة - لقلنا : ان في شرح الصفدي للامية كل شيء الا شرح
اللامية • ذلك انه اتخذ القصيدة وسيلة لغاية أبعد ليست من اللامية في شيء ، لقد
كان يخرج لمناسبة وغير مناسبة ليحدثك عن المصدر وحروف الجر والخسوف
والكسوف والافلاك وما قاله فلان وفلان قبل الطغراني ، وما قاله فلان وفلان بعد
الطراني ، وقد ضاعت اللامية في هذا الخضم المضطرب •

وتبه القدماء الى مساوئ شرح الصفدي هذا فعملوا الملخصات^(١٦) وألفوا
شروحا نزهوها من الاستطراد والاطالة • ذلك انك مهما تقل في الخط من شرح
الصفدي لا تستطيع أن تدعي انه مما يستغني عنه طالب العلم بمفردات اللامية
واعرابها ومعاني أبياتها ، فلا بد من تجريدتها • ولقد استعنا به - كما رأيت في
حواشي النص الذي أثبتناه للقصيدة - استعانة كبيرة •

(١٦) يذكر الخاقاني ان في المكتبة العباسية ملخصاً للصفدي لخص به
« الغيث » في أربعة أيام ..

على اننا لا نعد - اليوم - شرح الصفدي والشروح الاخرى شروحا بالمعنى الصحيح . انه مقدمة للشرح ، واعانة عليه . ان الشرح الحقيقي هو الذي يبين جو القصيدة وظروفها وصلتها بناظمها ومدى اعرابها عن حاله النفسية وصلة المقطع منها بالمقطع والبيت بالبيت .

وانك لتبحث عن هذا فلا تكاد تجد له مكانا في ذلك الخضم من الشروح التي تتحدث وتطيل الحديث دون أن تربط ودون أن تصل . ولو قيض للصفدي الامام بهذا المنهج الذي نريده لأفادنا كثيرا ، ولحفظ لنا أمورا يصعب علينا أن ندعي العلم بها . عن بغداد عام ٥٠٥ ، عن العطل الذي أصاب الشاعر ، عن الاصدقاء الذين تنكروا ، عن أصبهان ومن بقي فيها من آل الشاعر وذويه ، ولوقف عند « دولة الاوغاد والسفل » .

اننا اذ نشدد مع الصفدي في الحساب نكون قد حاسبناه على ما لا قبل له به ، فهو رهين عصره .

وقد ظل كتابه مثار اعجاب ، حتى اذا طبع في الاسكندرية عام ١٢٩٠ قال الشيخ ابراهيم افندي الاحدب الطرابلسي (٢ : ٤١١-٤١٢ من الطبعة) :

هل بارق من ثنايا ثغر مبتسم ابان نظم اللآلي في دجى الظلم

★ ★ ★

ام ذي مناهل غيث قد اضيف بما	حلا الى أدب بالفضل منسجم
لامية العجم استعلت به وزهت	بمعرب للمعاني غير منعجم
شرح بديع به شرحي يطول اذا	احكمت فيه بيان النعت بالحكم
ابان للقوم افنان الفنون فما	روض جلا نور مشور ومنتظم

★ ★ ★

لله در صلاح الدين منشها	ابكار حسن فما سلمى بذى سلم
لم ينصف ابن الدمايني حيث أتى	منقضا لعلاء غير محتشم ..

وقال الشيخ رمضان حلاوة :

•• خليل ايلك من رافت مشاربه	وبحر آدابه قد فاض كالديم
للّه شرح له سامى العلوم على	لامية العجم المرفوعة العلم
مطول ادبا في ضمنه حكم	لا خير في قصر الآداب والحكم
عن كل معنى يكاد السحر يعبد	وكل لفظ رقيق الحسن منتظم
يظل يورد أبحاثا ويعقبها	ورد الحديث فيروى منه كل ظمي
له رجوع الى اتحاف شاردة	على أصالة رأي فيه ملتئم

(٦)

ولقد تلقف اللامية كثيرون ، عارضوها وشطروها واختاروها (١٧) واستشهدوا بأبياتها وسارت مسير الامثال وانسابت في خنايا الحديث وتسربت في ثنايا الكتابة ، وتغلغلت في التقاليد واستقرت في العقول •
فمن العناية التي لقيتها اللامية ودلت على اهتمام الناس بها ، واعجاب الادباء : التشطير والتخسيس والمعارضة وما أشبه •

وروى الصفدي : « أشدني لنفسه من لفظه المولى نور الدين علي بن محمد ابن فرحون المالكي اليعمري المدني بدمشق المحروسة في سنة احدى وأربعين وسبعمئة هذه اللامية وقد ركب على كل صدر عجزا وعلى كل عجز صدرا فناسبها ، وهذا قصد ظريف • ومما أشدني قوله :

أصالة الرأي صاتني عن الخطل	وسرعة الحزم ذادتني عن المذل
وحلة العلم اغتني ملابسها	وحلية الفضل زاتني لدى العطل
مجدي أخيرا ومجدي أولا شرع	وسؤددي ذاع في حل ومرتل

(١٧) وممن اختارها السيوطي في الكنز المدفون ، ١١٢ - وأحمد اليميني الشرواني أحد ادباء القرن الثالث عشر للهجرة في كتابه « نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن » وطبع مرارا ، ينظر سركيس ١١٢٠ •

وهمتي في الغنى والفقر واحدة
والشمس رآد الضحى كالشمس في الطفل
فيم الاقامة بالزوراء لا سكني دان ولا انا في عيش بها خضل
وليس لي ارب فيها ولا خولي بها ولا ناقتي فيها ولا جملي (٢١)

وفي آخر مخطوطة لشرح الديمري في مكتبة الدكتور حسين محفوظ نسخة
من هذا التعجيز والتصدير باسم « نزهة النظر ونخبة الفكر » .
وقال الصفدي « زعم بعضهم ان بعض الشعراء غير قوافي هذه القصيدة
من اللام الى حرف العين وهذا عندي يتعذر لأن ألفاظ هذه القصيدة في غاية
الفصاحة وتراكيب كلماتها كلها منسجمة عذبة غير قلقلة ولا نافرة ومعانيها بليغة
غير ركيكة وقوافيها في غاية التمكن » (٢٢) .

وأورد أربانا في معرض مدحها والثناء عليها يمكن أن تكون ضربا من المعارضة
في الوزن والقافية :

فما لها في الورى مثل يناظرها وكم لها سار بين الناس من مثل
أقمارها في تمام النظم قد طلعت تسير في أوج معناها ولم تفل
وزهرها لم تزل تندى غضارته لان منبته في روضها الخضل
يرتاح سامعها حتى يهز لها من التعجب عطف الشارب الثمل
فلا تعر غيرها سما ولا بصرا

« في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل » (٢٣)
على ان الصفدي - وهو المعجب المستهام باللامية - عارضها وكان مما قال (٢٤):
الجد في الجِد والحِرمان في الكسل فانصب تُصب عن قريب غاية الامل

(٢١) الصفدي ١: ١٨ .

(٢٢) نفسه ١: ١٣ .

(٢٣) نفسه ١: ٣ .

(٢٤) الشرواني ، نفحة اليمن ، ١٥ ، ٤ ، الهاشمي ، جواهر الادب (فرغ من
جمعه سنة ١٣١٩) . وليلاحظ ان الصفدي لم يشر في « الغيث » الى معارضته .

واصبر على كل ما يأتي الزمان به
 وجانب الحرص والاطماع تحظ بما
 ولا تكونن على ما فات ذا حزن
 واستشعر الحلم في كل الامور ولا
 وان بليت بشخص لا خلاق له
 ولا تمار سفيها في محاوره
 ولا يغرك من يدي بشاشته
 وان اردت نجاحا كل آونة
 ان الفتى من بماضي الحزم متصف
 ولا يقيم بأرض طاب مسكنها
 ولا يضيق ساعات الزمان فلن
 ولا يراقب الا من يراقبه
 ولا يعد عيوباً للورى أبداً
 ولا يظن بهم سوءاً ولا حسناً
 ولا يؤمل آمالاً بصبح غد
 ولا يصد عن التقوى بصيرته
 فمن تكن حلة التقوى ملاسسه
 من لم تفده صروف الدهر تجربة
 من سألته الليالي فليثق عجلاً
 من ضيع الحزم لم يظفر بحاجته
 من جاد ساد وحى المالمون له
 من رام نيل العلى بالمال يجمعه
 من لم يصن نفسه ساءت خليفته
 من جالس الوغد والحمقى جنى ندماً
 فخذ مقال خير قد حوى حيكماً

صبر الحسام بكف الدارع البطل
 ترجو من العز والتأييد في عجل
 ولا تطل بما اوتيت ذا جذل
 تسرع ببادرة يوما الى رجل
 فكن كأنك لم تسمع ولم يقل
 ولا حليماً لكي تقصى عن الزلل
 اليك خدعا فان السم في العسل
 فاكتم أمورك عن حافٍ ومتعل
 وما تعود نقض القول والعمل
 حتى يقد أديم السهل والجبل
 يعود ما فات من أيامه الأول
 ولا يصاحب الا كل ذي نبل
 بل يعتني بالذي فيه من الخلل
 بل التجارب تهديه على مهل
 الا على وجل من وثبة الاجل
 لانها للمعالي أوضح السبل
 لم يخش في دهره يوما من العطل
 فيما يحاول فليسكن مع الهمل
 منها بحرب عدو جاء بالجيل
 ومن رمى بسهام العجب لم ينل
 بديع حمد بمدح الفعل متصل
 من غير حل بلى من جهله وبلى
 بكل طبع ردى غير منتقل
 لنفسه ورمى بالحادث الجلل
 اذ صغته بعد طول الخبر في عملي

والحكم ، والدعوة الى الصبر والحلم والكتمان والحزم وما الى ذلك مما
طرب له الصفدي اذ رآه في لامية الطغرائي (٢٥) وكأنه يرى في ذلك كل ما
فيها . أما قصيدته فليست شيئاً ، انه تعليم فقط .

• وخمسها عماد الدين أبو جعفر محمد بن علي الربيعي البغدادي ••
وشهاب الدين أحمد بن عبدالله الاندلسي الوادياشي واجاد • توفي سنة
٧٣٩ ، (٢٦) •

أما صفي الدين الحلبي فانه كتب بقصيدة الى صديق تأخر عن انجاده في
واقعة له وقد كان انجده في عدة وقائع وتأخر عنه عند سفره لمجرد ان أضداده
خدعوه ووعدوه بولاية ، والحقيقة ان صفي الدين لم ينظم من القصيدة سوى
صدر المطلع وصدر الختام ، أما بقية الايات فليس من شعره ، فقد عمد الى
عشرين بيتاً من لامية الطغرائي فأخذ اعجازها وخرج لها عشرين صدرًا اختارها من
أعجاز قصيدة المتنبّي

قل للخلي الذي قد نام عن سهري	ومن بجسمي وحالي عنده سقم
تمام غني وعين النجم ساهرة	واحر قلباه ممن قلبه شيم
فالحب حيث العدى والاسد رابضة	فليت انا بقدر الحب نقسم
فهل تعين على غي هممت به	في طيه اسف في طيه نعم
حب السلامة يثني عزم صاحبه	اذا استوت عنده الانوار والظلم
فان جنحت اليه فاتخذ نفقاً	ليحدثن بمن ودعتهم ندم
رضى الذليل بخفض العيش يخفضه	وقد نظرت اليه والسيوف دم

(٢٥) ولنذكر ان لامية الصفدي كانت سائرة •

(٢٦) حاج خليفة ١٥٤٨ ، ١٥٣٩ •

ومما يذكر ان حاج خليفة يذكر ص ١٥٣٩ : « لامية الروم لمحمد بن محمد
ابن محمد بن محمد المعروف بابن الحكم الحلبي ، أولها :
حتم انظم من دمعي ومن غزلي أدلة وحبيب القلب معتزلي
ويتحدث عن لامية في العروض ولامية في الكلام •

ان العلى حدثني وهي صادقة
أهبت بالحظ لو ناديت مستمعا
لعله ان بدا فضلي ونقصهم
أعلل النفس بالآمال أطلبها
غالى بنفسي عرفاني بقيمتها
ما كنت اوتر أن يمتد بي زمن
اعدى عدوك ادنى من وثقت به
وحسن ظنك بالايام معجزة
ان كان ينجع شئ في ثباتهم
يا واردا سور عيش صفوه كدر
فيما اعتراضك لج البحر تركبه
وبا خيرا على الاسرار مطلعا
قد رشحوك لامر لو فطنت له
فأفطن لتضمين لفظ فيك أحسبه

ان المعارف في أهل النهى ذمم
واسمعت كلماتي من به صمم
ادركتها بجواد ظهره خذم
لو ان امركم من أمرنا امم
حتى ضربت ، وموج الموت يلتطم
شهب البزاة سواء فيه والرخم
فلا تظن ان الليث يتسم
ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
فما لجرح اذا أرضاكم ، ألم
وشر ما يكسب الانسان ما يصم
والله يكره ما تأتون والكرم
فيك الخصام وانت الخصم والحكم
تصافحت فيه بيض الهند واللم
قد ضمن الدر الا انه كلم (٢٧)

ولعمل صفي الدين هذا دلالة في تقدير اللامية وصاحبها لانه اكبر شعراء
المئة الثامنة ، ودلالته أيضا على شيوع اللامية •

ويقول الديوان : ان الصفي « ناسب بين القصيدين مناسبة عجيبة توافق
غرضه ، فجاءت وكأنه نظمها بنفسه » •

أما انها عجيبة فصحيح ، أما « وكأنه نظمها بنفسه » فصعب التصديق ، لاسيما
لاولئك الذين قرأوا اللامية وقرأوا الميمة وبقيت آثارهما في النفس •

هذا الى أن القصيدة الناتجة عن الخلط لم تعبر تمام التعبير عن عمق
الحادثة التي أثارها •

(٢٧) ينظر ديوان صفي الدين ص ٥٤-٥٥ ، علوش ص ٢٧٨-٢٧٩ •

وروى فاندر سلوت - مما يدخل في المعارضة :
اقنع تجل ولا تطمع تذلل ولا تعجل تزل ولا تقتر بالأمل
وروى حاج خليفة : « اللامية في نظير لامية الطغرائي - للشيخ غرس الدين
خليل بن محمد الاقفهسي (المتوفى سنة ٨٢٠) ، على وزنها ، أولها :

دع التشاغل بالغزلان والغزل
يكفيك ما ضاع من أيامك الاول (٢٨)

وفي مخطوطة بالمتحف البريطاني : « هذا شفاء السقم .. في تخميس
لامية العجم »

العلم والعقل للانسان خير حلي فضلي كنار القرى ليلاً على جبل
وعند مكري سواء غامض وجلي اصالة الرأي صانتني عن الخطل
وحلية الحلم زانتني لدى العطل (٢٩)

وفي احدى مخطوطات المتحف البريطاني نقرأ :
« هذه لامية العرب مبارية لامية العجم :

زيادة القول تحكي النقص في العمل ومنطق المرء يهديه عن الزلل
ان اللسان صغير جرمه وله جرم عظيم كما قد جاء في المثل ..
وتستمر في الحكم والجود والحلم .. (٣٠)

وفي مطلع العصر الحديث لم تفقد اللامية مكانتها ، وقد عارضها السيد
أحمد الهاشمي وأثبت معارضته في كتابه « جواهر الادب » - الذي فرغ من
جمعه سنة ١٣١٩ :

-
- (٢٨) حاج خليفة ١٥٤٠ .
(٢٩) المخطوطة رقم ٧٤٣٣ ، و٥٣ ب .
(٣٠) من المخطوطة ٧٥٩٨ و ١٨٠ .
وينظر الشرواني ، نفحة اليمن (ينسبها لصاحبها) .

عليك بالصبر والاخلاص في العمل ولازم الخير في حل ومرتحل

* * *

لا تطلب العز في دارٍ ولدت بها « فالعز عند رسيم الأينق الذلال »

* * *

وسادة العصر قد ألقوا مقالدهم الى الطغاة شرار الناس والسفل (٣١)

* * *

فقد فقدت الأولى كانت بهجتهم نور النواظر في الاحداق والمقل

* * *

خذها مجبرة غيداء غانية أتت على عجل كالقابس العجل
جاءت من « الهاشمي » لا تبغي مهرا من خاطب لبنات النظم في عطل (٣٢)

والقصيدة دليل آخر على ذوق العصر وعلى مدى ما فهم المعجبون من لامية الطغرائي • وكثيرا ما ضمن الهاشمي اعجاز لامية الطغرائي •

ولا شك في أن هذه معارضات أخرى ، وخير معارضة - فيما نعلم - لامية البارودي (٣٣) :

قلدتُ جيد المعالي حلية الغزل وقلت في الجدي ما أغنى عن الهزل
يأبى لي الغيَّ قلب لا يميلُ به عن شرعة المجد سحر الاعين النجل
أهيمُ بالبيض في الاغمد باسمةً عن غرة النصر لا بالبيض في الكلل
لم تلهنني عن طلاب المجد غانية في لذة الصَّحو ما يغني عن التَّمَل

(٣١) وفي بيت الطغرائي دولة الاوغاد والسفل •

(٣٢) الهاشمي ، جواهر الادب ، باب الحكم •

(٣٣) ديوان البارودي ٢: ٢٠٧ - • ويذكر الشارح انه قالها على قافية

وروي لامية العجم للطغرائي • ذكرنا بهذه المعارضة الاديب حارث طه الراوي •

وبين متكفٍ يبكي على طلل
 مزية الفرق بين الحلي والعطل
 فالباز لم يأوِ الا عالي القل
 في لجة البحر ما يغني عن الوشل
 ويقعد العجز بالهيابة الوكل (٣٤)
 ألقى به الأمن بين اليأس والوجل
 فرونق الآل لا يشفي من الغل
 لبات من ود ذي القربى على دخل
 فالكحل أشبه في العينين بالكحل
 يصيلك من حرها ناراً بلا شعل
 ومزقت شمل ود غير منفصل
 عني فما كل رام من « بني نعل »
 كرك الجديد من ماضٍ ومقبل
 ولا مسحت جبين العز من خجل (٣٥)
 وذقت ما فيه من صاب ومن غسل
 أشهى الى النفس من حرية العمل

كم بين متدب يدعو لمكرمة
 لولا التفاوت بين الخلق ما ظهرت
 فانهض الى صهوات المجد معتلياً
 ودع من الأمر أدناه لأبعده
 قد يظفر الفاتك الأولى بحاجته
 وكن على حذرٍ تسلم فرُب فتى
 ولا يغرنك بشر من أخي ملقٍ
 لو يعلم المرء ما في الناس من دخنٍ
 فلا تثق بوداد قبل معرفة
 واخش النسيمة وأعلم أن قائلها
 كم فرية صدعت أركان مملكة
 فاقبل وصاتي ولا تصرفك لاغية
 اني امرؤ كفتني حلمي وأدبني
 فما سرّيت قناع الحلم عن سفه
 جلبت أشطراً هذا الدهر تجربة
 فما وجدت على الأيام باقية

وانك لو اجد في هذه اللامية الفخر بالجد والطماح الى المجد وتلمس روح
 الحكيم المجرب الناصح بالعمل والحذر مع مسحة من الشكوى وشعور بالمرارة ، لكن
 ما يكاد يبلغ البارودي الحديث عن زمانه وسيرة حاكميه حتى يعلن ألمه الشديد ، وحزنه
 العميق على ما آلت اليه حاله وحال البلاد فيمنح أياته كثيراً من العنف والقوة ، ولا
 تحس بانه يعارض أو يقلد ، فكأنه انصرف الى ما هو عليه فأعرب عنه بتأثر وشدة
 فعل الشاعر الاصيل ، وكل ما يجمعه بالطغرائي جامع الشكوى والشعور بالضميم
 ثم الثورة :

(٣٤) الأولى : الشديد الخصومة ، الصعب الخلق .

(٣٥) سرّيت : كشفت .

قامت به من رجال السوء طائفة
من كل وغد يكاد الدست يدفعه
أدهى على النفس من يؤس على تكل
بُغضا ويلفظه الديوان عن ملل

★ ★ ★

قومٌ إذا أبصروني مقبلا وجَمُوا
غِيظا وأكبادُهم تتقد من دَغَل (٣٦)

★ ★ ★

بُس العشير وبُست مصرُ من بلدٍ
أرض تَأْتَلُ فيها الظلم وانتقدت
وأصبح الناس في عَمِيَاء مظلمةٍ
لم يخطُ فيها امرؤٌ الا على زلل

★ ★ ★

فبادروا الامر قبل الفوت وانتزعوا
شِكالة الريث فالدنيا مع العجل

★ ★ ★

هذي نصيحة من لايتغي بدلا
بكم وهل بعد قوم المرء من بدل

وفي غفوان هذا الانسجام وما هو فيه نسي الطغرائي ولايته فقال :

أسهرت جفني لكم في نظم قافية
ما ان لها في قديم الشعر من مثل ..

ولا شك في أن المعلم داود صليوا صاحب مجلة صدى بابل كان يفكر باللامية
وبمعارضتها عندما كتب عام ١٩١٠ :

« حنين المشتاق : الى لقاء وزير العراق » في تهنئة رفعها الى ناظم باشا :

يا حادي العيس عج بي بالحمى وسل
عن قاتلي نبيل اللحظ لا الاسل

وفيها مثل : طردت حادي الكرى من مقلتي فعدا ، ومثل أصيل رأى ..
ومثل حالي العطل (٣٧) .

(٣٦) دغل : حقد .

(٣٧) صليوا ، صدى بابل ، بغداد .

وتسربت - كما هو طبيعي الى المقالات فهذا (س.م) آل المدرس يستشهد
- وهو يكتب في جريدة الشرق عن الشجاعة^(٣٨) ب :

حب السلامة

فان جنحت

يرضى الذليل

وتفتح هذه الجريدة بابا ثابتا للآيات الخالدة ، وما كان لهذا الباب معدى
عن آيات من لامية الطغرائي •

وفي جريدة العراق يتحدث متحدث فيقول : « بلغت هذه العاصمة منذ بضعة
أيام وبقيت أتردد في أنحائها مرددا قول الطغرائي :
فلا صديق اليه مشتكى حزني

ولا حبيب اليه منتهى جذلي^(٣٩)

ويردد آخر : اعلل النفس ..^(٤٠)

ويقول آخر :

« المجتمع العراقي .. يسير على حد قول الشاعر :

وانما رجل الدنيا وواحدها

من لا يعول في الدنيا على رجل^(٤١)

وفي باب « الشعر الخالد »

تقرأ : « اذا المرء لم يدنس .. » و « اذا انت لم تشرب مرارا .. »

و « ومهما تكن عند امرئ .. »

وتقرأ :

اعلل النفس بالآمال ارقبها

ما أضيق العيش لولا فسحة الامل^(٤٢)

(٣٨) محمود أحمد (س.م) آل المدرس •

(٣٩) س ١ ، ٣٠ تموز ١٩٢٠ العدد ٥١ ص ٣ (ساعة في مكتبة السلام) •

(٤٠) س ١ ، ٢٧ تشرين الثاني ١٩٢٠ العدد ١٥٠ •

(٤١) العدد ٢٢١ ، س ١ ، ١٩ شباط ١٩٢١ •

(٤٢) العدد ٣٧ ، ١١ آب ١٩٢١ ، ص ٢ •

وفي العام نفسه يكتب ميخائيل تيسي « قصة المهر والزواج » ويقول ..

ان رمت من فولك الاصلاح للخلل

تفوز (?) أن تقرر الاقوال بالعمل (٤٣)

وليس من المعقول أن لا تكون اللامية في ذهنه عند ذكر هذا البيت .

وفي عام تال يقول كاتب : « فأملوا انفراج الازمة ..

اعلل النفس .. » (٥٠)

وتصدر العراق عددا ممتازا فقرأ في فهرس « محتويات العدد » : لامية

الزهاوي ، ص ٢ ، وتفتح ص ٢ واذا :

اندفاعات

للاستاذ جميل الزهاوي

يكفي لآظهار ما في النفس من دخل

يوم من الحزن أو يوم من الجذل

★ ★ ★

بغداد ليست كما قد كنت تعهدها

في عهد هارون عصر العلم والعمل (٥١)

ولامية الزهاوي طويلة وقد وزعها قطعاً متعددة في ديوانه (٥٢) .

(٤٣) العدد ٢٩٦ ، ١٨ أيار ١٩٢١ .

(٥٠) العدد ٥٢٦ ، ١١ شباط ١٩٢٢ .

(٥١) الزهاوي (جميل صدقي) في جريدة العراق ، العدد الممتاز ،

٣٩١ ، ١ كانون الثاني ١٩٢٢ .

(٥٢) ينظر ديوان الزهاوي ص ٣ ، ٤١ ، ٢٤٢ ، وينظر للمعارضة ديوان

الشبيبي ص ١٤١ . الدكتور محسن جمال الدين هو الذي نبهنا الى وجود المعارضة

في ديوان الزهاوي والشبيبي . ولم نذكر ذلك في الطبعة السابقة ظنا منا انه

لا يرغب فيه . ونذكره هنا بناء على طلبه - وهو حقه .

لا يرغب فيه . ونذكره هنا بناء على طلبه - وهو حقه . ولا بد من أن تكون

لاميات اخرى غير قليلة العدد نظمت في معارضة لامية الطغرائي .

واتخذ طه حسين البيت : « اريد بسطة كف .. » موضوع حوار بين التلميذ
الفتى واستاذة الشيخ (٥٣) .

ودخلت اللامية المدارس الحديثة في كتب المطالعة والمنتخبات وتاريخ
الادب (٥٤) . ولكنها لم تلق حظا من الدراسة والتحليل . ووعد اسماعيل مظهر
بدراستها (٥٥) في ضوء ما سماه « هدوء النفس النائرة » فلقد قال ان في شعر
الطغرائي « الثورة يخيم عليها هدوء نفسي قلما تأنسه في شاعر غيره . وعندي ان
هذه الصفة لم تتجل في شعر الطغرائي بتدر ما تجلت في لاميته المعروفة .. »
لقد وعد اسماعيل مظهر أن يدرسها في ضوء جديد ودل وهو يمهّد
لدراسته هذه ، على اعجاب بها وفهم لاسرارها ولكننا - لسوء الحظ - لم نقف
على جواب لوعده .

* * *

وتأثر الغربيون بعناية العرب باللامية فعنوا بها وترجموها أكثر من مرة وفي
أكثر من لغة وبلاد . فلقد طبعها عام ١٦٢٩ Golius مع ترجمة لاتينية وعنه
ترجمها الى الفرنسية P. Vattier عام ١٦٦٠ . وقال كرنكو : لعلها - أي
اللامية - أقدم نص من الشعر العربي كان في متناول دائرة واسعة من أوروبا . وأعاد
H. Van der Sloot طبعها عام ١٧٦٩ في فرانكر ، ونشرها مع ترجمة لاتينية
E. Pocock عام ١٦٦١ في اكسفورد ، وأعاد طبعها J. Hirth عام ١٧٧٠ في
L.G. Pareau Institutiones Arabicae, Jena و ١٨٢٤ .

(٥٣) طه حسين - جنة الشوك ، ١٠٦ .

(٥٤) نصت عليها أو اختارتها واختارت منها أكثر كتب تاريخ الادب التي
ألفت في العصر الحديث ، اتماما لمسيرتها وزيادة في حلقاتها على الزمن ولا غرو
فاكثر من ألف ، وأوائل من ألف مخضرمون عاشوا أعقاب العصور القديمة وبدأوا
العصر الجديد ومن هؤلاء البارودي (المتوفى سنة ١٣٢٢) مختارات ١ : ٨٧-٨٨ :
الهاشمي (سنة ١٣١٩) ، المرصفي ٢٢٦:٢-٢٢٨ (سنة ١٩٠٨) ، زيدان ٣:٢٣
(سنة ١٩٣١) ، الزيات ، ٢٨٢ (ط ، ٦ ، ١٩٣٥) الاثري (وجماعة) ، الاساس ،
للفصوف الرابعة الاعدادية ، ١٤٦-١٤٧ (سنة ١٩٥٢) .

(٥٥) مظهر ، مجلة الرسالة ، العدد ٢٠٩ ص ١٠٠٥-٦ .

وترجمها الى الفرنسية Raux ونشرها في باريس عام ١٩٠٣ ، والى
الانكليزية J.D. Carlyle في كتابه « نصوص من الشعر العربي » المطبوع عام ١٧٩٦
باكسفورد . وأعاد طبعها W.A. Glauston في كتاب « الشعر العربي » المطبوع عام
١٨٨١ . وترجمها الى الانكليزية عن نص Pocock اللاتيني L. Chapellow
وطبعها في كمبرج عام ١٧٥٨ (٥٦) .

ولقد اطلعت على عدد من الترجمات (الانكليزية والفرنسية) فلم أجد
للمترجمين تعليقات تستحق الذكر ، وأكبر الظن انهم اعجبوا لاعجاب العرب
بها ، وانهم نظروا اليها بالعقلية نفسها .

(٥٦) كرنكو في دائرة المعارف الاسلامية ، مادة طغرائي ، المجلد
الرابع ص ٨٢٧ . واسم كتاب كارلايل : Specimens of Arabic Poetry
وكتاب كلوستون : Arabian Poetry ص ١٥٣ ، تنظر ٤٣٣ . وينظر
بروكلمان ١ : ٢٨٦-٧ .

خاتمة

اعتزل الطغرائي الناس مدة بعد اللامية (٥٠٥هـ) ، ولكن طماحه أكبر من أن يدعه ساكنا قانعا فعاد الى الطغراء بل هاجر الى الموصل حيث الملك مسعود أخو السلطان السلجوقي (محمود) فأصبح وزيره ثم انضم الى الفئة المحرصة على محاربة السلطان مدفوعا بطماحه لان يكون وزير السلطان ، ووزير الوزراء ولكنه لقي حتفه عام ٥١٥ ومات شهيدا^(١) .

والمعجبون بفضله وبشعره غير قليلين ، وللمرء أن يسمع أحاديث المؤلفين على مر العصور ابتداء من العماد الاصبهاني ليرى مكاتته ومنزلته ، ولكن المعجبين باللامية أكثر وأعنف ، ولقد رأينا أطرافا من ذلك الاعجاب الذي أدى الى الرواية والحفظ والاستشهاد والشرح والمعارضة ، وتوالت الشروح واتصل الاعجاب حتى عصرنا الحاضر .

لقد كانت اللامية يوما ما ، واذا أردنا التحديد قلنا : أيام عصر عرف بالفترة المظلمة ، احدى سمات المثقف ، واحدى القصائد التي احتلت المنزلة العليا وعدت من « مهمات المتون » ونزلت منزلة « المعلقات » . ولعلك تتذكر ان من تلك القصائد : بانت سعاد ، وعينية البوصيري وهمزته ، ولامية العرب .. واذا نسيت هذه اللامية أو تناسيتها بسبب أو آخر ، انك لا تنسى ولا تتعصب للامية تحكمتم في عصرها وسيطرت عليه سيطرة تامة ، تلك هي « لامية ابن الوردي » - الامام سراج الدين عمر بن المظفر (المتوفى سنة ٧٤٩) التي نظمها لابنه في ٧٧ بيتا وعرفت بنصيحة الاخوان :

(١) كما رأينا في الفصل الاول من هذا الكتاب .

اعتزل ذكر الغواني والغزل وقل الفصل وجانب من هزل^(٢)

وأخص ما يتميز به الذوق الذي أخذ بهذه القصائد ، خضوعه لسلطان « الحكم والامثال » وما اليهما من نصائح وتوصيات ومواعظ في الاخلاق والتقى ، أي انه كان يرى الشعر « تعليماً » ، ولا يشترط له أن يكون شعراً •

لهذا ، لم يزهدنا اعجابه بما سماه « لامية العجم » ، ولم يزهدنا المخضرمون الذين ورثوا هذا الاعجاب ، كما لم يزهدنا اعجاب المستشرقين الذين ترجموا - اذ ترجموا اللامية - قصائد على أكبر حظ من الرداءة الفنية وأقل نصيب من الشاعرية • لقد كان اعجابهم - أو اهتمامهم - ان شئت - قرينا لاهتمام المخضرمين وامتدادا لذوق الفترة المظلمة - وهذا ما لا يشرف لامية الطغرائي كثيراً •

انا اليوم عندما نقرأ الطغرائي ونعجب بلاميته قد نكون أصدق نظرة وأدق حكماً من أسلافنا ، فلم نعد نؤخذ بمكانة الرجل من الدولة والعلم ولا بما للامية من فخامة اللفظ ووجوه البديع و « الامثال والحكم » فقط ، انما يستهويننا - أول ما يستهويننا - عمق التعبير واصالة الشاعرية والاطوار النفسية التي يتقلب بينها الشاعر وهو يعرب عن أشد أزمة وقع فيها فأصابته في صميم طماحه ، ولقد كان من القوة بحيث أعرب عن الآخرين وهو يعرب عن نفسه • واذا اختلفنا وياه في هذا المعنى أو ذاك فيكفيه انه استوعب عصره وعكسه مذاًبا في كلمه يتمكن و « استاذية » •

واذاً فقد احتفظت اللامية بتقدير عصرنا الحديث وأطافت مقاييسه ، ونجحت اذ سقطت معاصراتها - وعلى رأسها : « اعتزل ذكر الغواني والغزل » ، وبقيت وحدها من تلك « المتون » مما يستطيع أن يدخل المجموعة الجديدة التي يمكن أن نختارها اليوم لمهمات المتون في الشعر العربي • أما يكفيها جدة أن تدرس في كلية حديثة فيعجب بها الطلبة ويقبلون على فهمها وتفهمها ويرون فيها

(٢) ومما يذكر انه جاء على الصفحة ٣٣٨ من المجموع الذي طبعته الجوائب وضم - فيما ضم - ديوان « الشيخ الامام العلامة ٠٠ ابن الوردي ٠٠ » انه : « ومما ينسب اليه وقد اشتهر عند الخاصة والعامة ولكن لم يوجد في ديوانه : اعتزل ٠٠ اللامية ٠٠ » •

نصا جديرا بالعناية وداعيا للاعجاب •
لقد اجتازت لامية الطغرائي دور التجربة ، ودلت على انها تحمل من عناصر
الفن ما يحفظ لها البقاء طويلا على مر الاجيال واختلاف الاذواق •
ولو تحدثنا بلغة القدماء لقلنا : لو لم يكن للطغرائي الا اللامية لكفاه •

ولكن لا ، اذا كانت اللامية أشهر ما للطغرائي ، فان له الى جوارها شعرا
جديرا بالاعجاب والتقدير لما فيه من اصالة تتجلى في التمكن من اللغة اذ يعرب
بها عن غف المشاعر مما حفظ له القوة والحياة على مر العصور ، وقد رأينا من
ذلك أمثلة في الرثاء والفخر والشكوى ، وفي أبيات هنا وهناك •
لقد كان الطغرائي أكبر شعراء عصره ، ويمكن عده « أميرهم » - اذا
تحدثنا بلغة الامارة ، واعتباره « متبيهم » - مع الفارق • اذا أردنا المقارنة • وفي
ديوانه من الشاعرية ما يتعدى زمانه المعين •

والى مكانة الطغرائي في تاريخ الادب مكانة تذكر في سياسة العصر وادارته ،
بحيث لم يهمله تاريخ ، وبحيث مدحه شعراء مثل الايبوردي والغزي •
أما نهايته فمأساة في بابها ولم يبالغ كثيرا من عده شهيدا •

انه رجل استوعب عصره وذاق حلوه ومرة • وجود في الاعراب عما عاناه
وعما عكسه ذلك العصر على صفحات نفسه وفي ثايا مطامعه ومطامحه •

أجل ، انه رجل يكون الطماح مفتاح شخصيته ، وتحله شاعريته منزلة
محترمة حفظت للشعر العربي في بدء انحطاطه طراوته ورعت قوته ، وعملت
على مدافعة هذا الانحطاط ما استطاعت بعد أن بدأ ينزل بعد الشريف الرضى • وقد
نستطيع أن نضعه الى صف مهيار وقد نجرؤ فنفضله عليه بهذا أو ذاك •

•• المصادر

•• الفهارس

المصادر والمراجع

- آقابزوك - الذريعة الى تصانيف الشيعة ، ج ٩ ، ق ٢ ، ط ١ ، طهران ١٩٥٩ .
- ابن أبي حجلة - ديوان الصبابة . القاهرة ١٣٢٨ (على هامش تزيين الاسواق) .
- ابن الاثير - الكامل في التاريخ ، ليدن ، ١٩٠٨-١٩٣٤ (من غير نص) .
- - تاريخ الدولة الاتابكية - ملوك الموصل ، باريس ، ١٨٧٩ .
- ابن تغري بردى - النجوم الزاهرة ، القاهرة (دار الكتب) ١٩٣٥ .
- ابن حجة - بروق الفيث . مخ . ليدن ، رقم ١٠٣٦ .
- ابن جماعة - التعليقة ، مخ . المكتبة الوطنية ، باريس ، رقم ٣٣٦١ من فهرس دسلان .
- ابن خلدون - المقدمة . القاهرة ، ١٩٣٠ .
- - التاريخ (كتاب العبر - بولاق) ، ١٢٨٤-١٨٦٧ .
- ابن خلكان - وفيات الاعيان ، القاهرة (مط . الوطن) ، ١٨٩٩ (من غير نص) .
- - وفيات الاعيان ، مخ . المكتبة الوطنية بباريس رقم ٢٠٨٥ ، ٢٠٥٢ ، ٢٠٥٠ .
- - وفيات الاعيان ، مخ . مكتبة وزارة المعارف بطهران .
- - وفيات الاعيان ، طبع كوتنك ١٨٣٩ .
- - وفيات الاعيان ، طبعة ١٣٤٨-١٣٦٧ .
- - وفيات الاعيان ، طبعة دار المأمون ، ١٩٣٦ .
- - وفيات الاعيان : (ينظر البارزي) .
- ابن الخياط - الديوان (رواية تلميذه محمد بن نصر بن صغير الخالدي القيسراني) تح . خليل مردم ، دمشق (المط . الهاشمية) ١٩٥٨ .
- - الديوان . النجف (العلوية) ، ١٣٤٣ .
- ابن الدمياطي - ينظر الحسامي .
- ابن زاكود - كتاب تفريج أهل الكرب عن قلوب أهل الادب في معرفة لامية العرب ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٣٢٨ .
- ابن الزيات - ديوان ابن الزيات ، القاهرة (تح . جميل سعيد) ١٩٤٩ .
- ابن شاكر - عيون التواريخ ج ١٢ ، مخ . كمبرج رقم ٢٩٢٢ .
- ابن كثير - البداية والنهاية في التاريخ . القاهرة . مط . السعادة ١٩٣٢ .

- ابن مبارك - نشر العلم في شرح لامية العجم ، القاهرة (؟) ، ١٣٢٠ .
- ابن الوردي - ديوان ابن الوردي ، الاستانة ، الجوائب ، ١٣٠٠ (ضمن مجموع أوله : لامية العرب ٠٠٠) .
- تاريخ ابن الدردي ، القاهرة ١٢٨٥ .
- ابو الفدا - تاريخ ابي الفدا ، استانبول ١٢٨٦ / ١٨٧٠ .
- الاسكندري (احمد) - الوسيط ، القاهرة (دار المعارف ، ط ١٦) ، تاريخ الطبعة الاولى ١٩١٦ .
- الانطاكي - تزيين الاسواق ، القاهرة ، ١٣٢٨ .
- أنوشروان - ينظر العماد (النصر) والبنداري (الزبدة) .
- البارزي - مختصر الوفيات . مخ . المكتبة الوطنية ، باريس ، رقم ٢٠٦٠ .
- البارودي - ديوان البارودي ، مطبعة الجريدة (ضبطه وشرحه محمود الامام المنصوري - أحد علماء الازهر) .
- مختارات البارودي ، القاهرة ، ١٩٢٧-١٩٢٩ .
- البستاني (المعلم) - دائرة المعارف . بيروت ، ١٨٧٦-١٩٠٠ .
- برهان الدين - شذرات الذهب (اشعار في الكيمياء) . مخ . المتحف البريطاني ، رقم ٢٣ .
- البصري - عصر القرآن . بغداد . مط . المعارف (١٩٤٧) .
- البنداري - زبدة النصر ، ليدن ، (تح . هوتسما) ١٨٨٩ (من غير نص) .
- زبدة النصر ، ط . القاهرة ، ١٩٠٠ باسم (كتاب تاريخ دولة آل سلجوق) - ينظر العماد (النصر) .
- حاج خليفة - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . استانبول ١٣٦٠ / ١٩٤١ (من غير نص) .
- كشف الظنون لندن (ط . فلوجل) ١٨٥٠ .
- الحضرمي - نشر العلم في شرح لامية العجم ، القاهرة ، ١٣٠٩ .
- الحسامي - الاستفادة من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار (مصور في المجمع العلمي العراقي ، ٥٨ م) .
- حسن (محمد عبدالغني) - معرض الادب والتاريخ ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- الحسيني (؟) - زبدة التواريخ (في أخبار الدولة السلجوقية) ، لاهور ، تح . اقبال ، ١٩٣٣ .
- الحنبلي - شذرات الذهب في أخبار من ذهب . القاهرة ١٣٥٠ .
- الخاقاني (علي) - مخطوطات المكتبة العباسية في البصرة ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد الثامن ، بغداد ١٩٦١ .
- خضر (عبدالرحمن) - جريدة الاستقلال ، السنة الخامسة ، العدد ٤٦٩ ، بغداد ١٩٢٤ .
- خليف (يوسف) - الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٩ .
- الخوانساري - روضات الجنات . فارس ١٣٠٤ .
- داود جلبلي - مخطوطات الموصل ، بغداد ، ١٩٢٧ .

- الدمامي** - نزول الغيث الذي انسجم على شرح لامية العجم ، مخ . دار الكتب المصرية ، رقم ٩٠٤١ : ليدن ، رقم ١٠٠٦ .
- الدميري** - شرح لامية العجم . مخ . كمبرج رقم ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ .
- الذهبي** - دول الاسلام ، حيدر آباد ، ١٣٣٣ .
- (٩) - العبر في أخبار من عبر . مخ . المكتبة الوطنية . باريس ، رقم ١٥٨٤ ، ١٥٨٥ .
- الراوي** (طه) - لامية العجم ، مجلة الصبح ، بغداد ، العدد ٧-٥ ، ١٩٣٦ .
- رضائي** (علي) - عود الشباب (مختصر خريدة القصر للعماد) مخ . فينا رقم ٢٤٦ ، نور عثمانية . مصورتان في المجمع العلمي العربي بدمشق .
- الزركلي** - الاعلام ، ط ٢ (عشرة مجلدات) .
- الزمخشري** - أعجب العجب في شرح لامية العرب ، الاستانة ، الجواب ، ١٣٠٠ (ضمن مجموع أوله : لامية العرب ٠٠٠) .
- الزهاوي** - لامية الزهاوي (اندفاعات) ، جريدة العراق ، عدد ممتاز ، ٤٩١ ، بغداد ، ١٩٢٢ .
- ديوان الزهاوي ، القاهرة ، ١٩٢٤ .
- زيدان** - تاريخ آداب اللغة العربية . القاهرة . ط ١ ، ١٩٣٧ .
- الزيات** - تاريخ الادب العربي ، القاهرة ، ط ٥ ، ١٣٤٩ / ١٩٣٠ .
- سبط بن الجوزي** - مرآة الزمان ج ٨ (شيكاغو) ١٩٠٧ .
- مرآة الزمان ج ٨ (جزآن) ، حيدر آباد .
- السبكي** - طبقات الشافعية ، القاهرة ، المطبعة الحسينية ، ١٣٢٤ .
- السمعاني** - الانساب (نشر ماركوليوث) ليدن ١٩١٢ .
- ذيل تاريخ بغداد للخطيب ج ٣ ، مخ . كمبرج ، رقم ٢٩٢٤ .
- مذيل تاريخ بغداد . مخ . ليدن رقم ٢٦ .
- سركيس** - معجم المطبوعات العربية (حتى عام ١٩١٩) ، القاهرة ، ١٩٢٨ / ١٣٤٦ .
- س . م** (آل المدرس) - ينظر محمود أحمد .
- السويدي** (عبدالله) - رشف الضرب من شرح لامية العرب . مصورة في المجمع العلمي العراقي ، ١٦٥ م .
- السيوطي** - الكنز المدفون ، القاهرة ١٢٨٨ .
- تاريخ الخلفاء امراء المؤمنين ، القاهرة (المط . الميمنية) ١٩٠٧ .
- الشاوي** (سليمان) - شرح لامية العرب ، مصورة في المجمع العلمي العراقي ، ١٦٦ م .
- الشبيبي** (محمد رضا) - ديوان الشبيبي ، القاهرة ، ١٩٤٠ .
- الشرق** - جريدة أصدرها حسين افنان ، بغداد ، العدد ٩ ، ٥٣ ، سنة ١٩٢٠ .
- (الابيات الخالدة) ، وينظر محمود أحمد .
- الشرواني** - نفحة اليمن فيما يزول بذكره الشجن . كلكتا ١٨١١ .

- الشريف الرضي** - ديوان الشريف الرضي ، بيروت ، دار صادر ودار بيروت
١٣٨٠/١٩٦١ (من غير نص) .
- شفق** - تاريخ الادب الفارسي . ترجمة موسى هنداوي . القاهرة (الفكر العربي) ١٩٤٧ .
- شيخو** (لويس) - مجاني الادب ، بيروت ، ١٩٣٠ .
- صليوا** (المعلم داود) - جريدة صدى بابل ، العدد ٢٧ سن ١ ، بغداد ، ١٩١٠ .
- الصفدي** - كتاب الغيث المسجم في شرح لامية العجم ، القاهرة ، ١٣٠٥ (من غير نص) .
- كتاب الغيث ، الاسكندرية ١٢٩٠ .
- الوافي بالوفيات ، ج ١١ ، مخ . المجمع العلمي العربي بدمشق ، رقم ٨٧ .
- صفي الدين** (الحلبي) - ديوان صفي الدين الحلبي ، بيروت (صادر) ١٩٦٢ .
- الصنھجي** - ايضاح المبهم في شرح لامية العجم . مخ . المتحف البريطاني ٧٧٧ ، دار الكتب المصرية ١٠١٩ .
- طاشكبري زاده** - مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، حيدر آباد ، ١٩٢٨ .
- الطاهر** (علي) - الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي . ج ١ ، بغداد (مط . المعارف) ١٩٥٨ ، ج ٢ ، بغداد (مط . العاني) ١٩٦١ .
- الطغرائي** - ديوان ، القسطنطينية ، مط . الجوائب ، ١٣٠٠ .
- ديوان ، مخ . المتحف البريطاني رقم ٧٥٥٨ .
- ديوان ، مخ . استانبول (راغب باشا) ، رقم ١١٠٧ .
- ديوان ، مخ . دار الكتب المصرية ، القاهرة ، رقم ٧٩١٧ ، ١٥٢٨ .
- ديوان ، مخ . الاسكوريال ، رقم ٣٠٤ .
- ديوان ، مخ . مكتبة الجامعة الاميركية . بيروت .
- ديوان ، (صفحات) المتحف البريطاني . لندن ، رقم ٧٥٣٠ .
- مقطعات في الصنعة . مخ . مكتبة جامعة القاهرة ، رقم ٢٦١٨٩ .
- مصابيح الحكمة ومفاتيح الرحمة . مخ . المكتبة الوطنية ، باريس ، ٢٦١٤ .
- مصابيح الحكمة ومفاتيح الرحمة . مخ . مكتبة سراي ملي .
- عاطف** - ادبيات اللغة العربية . القاهرة .
- العالملي** (محسن) - اعيان الشيعة ج ١٧ ، دمشق (مطبعة الاتقان) ، ١٩٤٨ .
- العراق** - جريدة يومية ، العدد ٢٢١ ، ٢٩٦ ، ٣٧٠ ، ٤٩١ ، ٥٢٦ ، بغداد ١٩٢٢-١٩٢١ .
- العسقلاني** - الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة ، حيدر آباد ، ١٣٤٩ .
- علوش** (جواد) - شعر صفي الدين الحلبي ، بغداد ، ١٩٥٩ .
- العماد** (الاصبهاني) - خريدة القصر ، باريس . مخ ٣٣٣٢ من المكتبة الوطنية .

- ينظر عود الشباب لعللي رضائي .
- نصره الفترة وعصرة القطرة . مخ . باريس ٢١٤٦ .
- ينظر البنداري .
- انغزي - ديوان . مخ . المكتبة الوطنية ، باريس ، رقم ٣١٢٦ .
- (وينظر ديوان الابيوردي المطبوع ببيروت ١٩١٧) .
- الفاخوري - (حنا) - تاريخ الادب العربي ط ٢ ، بيروت ١٩٥٣ .
- فلوجل - مخطوطات فينا ، ج ١ ، فينا ١٨٦٥ .
- القلقشندي - نهاية الارب في معرفة أنساب العرب ، تحقيق ابراهيم الايباري ، القاهرة ١٩٥٩ .
- القمي (عباس) - الكنى والالقب ، صيدا (مط . العرفان) ١٣٥٧-٨ .
- كجالة (عمر رضا) - معجم المؤلفين ، دمشق ، مط . الترقى ١٩٥٧ .
- الكفوي - شرح لامية العجم ، مخ . المتحف البريطاني .
- الكنعاني (نعمان) - شعراء الواحدة . بغداد ١٩٤٥ .
- المافروخي - كتاب محاسن اصفهان ، طهران (مط . مجلس) .
- المامقاني - تنقيح المقال في أحوال الرجال . النجف . المط . المرتضوية ١٣٥٠ .
- محمود أحمد - جريدة الشرق ، العدد ٤٦ ص ٣ ، بغداد ، ١٩٢٠ .
- محمود مصطفى - اعجام الاعلام . القاهرة (الرحمانية) ١٣٥٤/١٩٣٥ .
- الادب العربي وتاريخه . القاهرة .
- المرصفي (محمد حسن) - أدب اللغة العربية ، القاهرة ، المط . الحسينية ١٩٠٨ .
- مظهر (اسماعيل) - مجلة الرسالة ، القاهرة ، السنة السادسة ، ١٩٣٨ ، العدد ٥٢٩ ، باب : تأملات في الادب والحياة (الطغرائي الشاعر) .
- الموسوي (العباس بن علي بن نورالدين) - نزهة الجليس ومنية الاديب الانيس . جزآن (من مؤلفات القرن الثاني عشر) .
- الميناوي - تحفة الراي للامية الطغرائي . القاهرة . بولاق ١٣١١ .
- الوهابي (خلدون) - مراجع تراجم الادباء العرب ، ج ٣ ، النجف ١٩٥٨ .
- الهاشمي (أحمد) - جواهر الادب . القاهرة ١٣٤٧/١٩٢٨ .
- اليافعي - مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، حيدر آباد ، ١٣٣٧ .
- ياقوت (الحموي) - ارشاد الاريب . القاهرة (طبعة ماركوليوت) ١٩٠٩-١٩٣١ .
- (من غير نص) .
- معجم الادباء (ارشاد) ط . دار المأمون . القاهرة .
- معجم البلدان . ليبزك (تح . وستنفلد) ١٨٦٦-١٨٧٣ .

مراجع بلغات اجنبية

- الراوندي - كتاب راحة الصدور (بالفارسية) ، ليدن (اقبال) ١٩٢١ •
عوفي - لباب الالباب (بالفارسية) ، ليدن (براون) ١٩٠٣-٦ •

Brockelmann — Geschichte der Arabischen Litteratur, 2e ed. Leyde
1943; 2 Vol. in 8e.

————— Supplementand. Heyde 1937, 3 Vol.

Browne (Ed.) — A Litterary History of Persia. Cambridge, 1929.

وقد ترجم الشورابي الجزء الخاص بالعصر السلجوقي الى العربية ، القاهرة •
Chapellow — The Traveler ... (Tagroi). Cambridge, Mdccclviii.

Derenbourg — Les Man uscrits Brabes de L'Escorial, Paris 1884.

Glouston (W.A.) — Arabian Poetry, Glasgow 1881.

Hartman — Litteratur Araber. Wien, 1850—1856.

Herbeloa — Bibliothèque orientale — Dictionnaire Universel.
Paris, 1781.

Huart — Littérature Arabe, Paris, 1902.

Krenkow — Encyclopdia of Islam, ar. Togrui.

Raux (A) — La Lamiyyat al-Adjam d'et-Togr, Paris, 1903.

Van der Sloot — Poëma Togr. Franf. Cbeel XIX.

Zambaur — Manuel de Généalogie et de Chronologie pour l'Histoire
de L'Islam, Hanovre, 1927.

وترجمه الى العربية زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود بعنوان زامباور -
معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، القاهرة ١٩٥١-١٩٥٢ •

فهرس الاعلام

لم يرد فيه ذكر الطفرائي واسماء المؤلفين

ووردت فيه أسماء الاسر والنحل

ابو جمعة (سعيد) - ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١	الأمدي - ١٠٥
ابوفراس - ٢٥	ابن ابي حجلة - هـ ٣٩
الاببيوردي - ١٠ ، ٨٦ ، ١٣٩	ابن الاثير - ١٥
الأحذب (ابراهيم) - ١٢٣	ابن الاخوة (عبدالرحمن) - ١٧ ، هـ
اسامة بن منقذ - ١٦ ، ٤٠	٣٨ ، ٤٢ ، ٩٨
اسعد (الطفرائي) - ٣٣ ، ٣٥	ابن افلح - ١٠
اسماعيل (ابن الطفرائي) - هـ ٣٧	ابن اقبرص - هـ ١١٩
اسماعيل مظهر - ١٣٥	ابن بهمينار - ٢٨
الاصبهباني (ابو الفرج) - ١١٢ ، هـ ١١٥	ابن التلميذ - ١٠
الاصبهباني - ينظر العماد	ابن جماعة - ١٢٠ ، هـ ١٢١
الاقفهي (غرس الدين) - ١٢٩	ابن حجة - ١٢٠
الاحاد - ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨	ابن الخياط - ٤١
آل محمد - ٢٤	ابن دريد - هـ ١١٥
الب ارسلان - ٨ ، ٢٨ ، ٥٨	ابن الدهان - ١٦
الامامية (دولة الخلافة) - ٣٠ ، ٤٣ ، وتنظر ص ٩ ، ١٣ عن الخلافة	ابن الزيات - هـ ٥٣
امرؤ القيس - ٩٨ ، ١١٠	ابن ساعد الانصاري - هـ ٣٩
الامير العميد - ٣٠	ابن الشبل - ١٠
امير المؤمنين (الخليفة العباسي) - ٥٩	ابن الشجري - ١٦ ، ٤٠ ، ٤٦
امين الدين علي المستوفي - هـ ٢٠	ابن عمار (صاحب طرابلس) - هـ ٣٤
امين الملك (ابو نصر) - هـ ٤٣	ابن القطان - ١٠
اهل الشام - ٥٧	ابن المستوفي (احمد) - ١٦
الايوبية (المملكة) - ٤٣	ابن الورددي - ١٣٧ ، هـ ١٣٨
الباخرزي - ١٠	ابن هاني - ٦٥
	ابن الهبّارية - ١٠
	ابن الهيثم (محمد) - ٤٠ ، ٤٤
	أبو الاسود الدثلي - ١٩ ، ١١١

حيص بيص - ١٠
 الخطير - ٣٠ ، ٣٣
 خلف الاحمر - ١١٥
 خليل ايبك - ١٢٤ وينظر الصفدي
 الدثلي - ١٤ ، ١١٢
 ديبس المزيدي - ٣٤ ، هـ ٣٦
 الدماميني - ١١٨ ، ١١٩ ، ١١٩ هـ ،
 ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢
 الدميري (محمد) - ١١٨ ، ١٢٥
 الراوندي - ١٥
 الراوي (طه) - ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ،
 ١١٤
 الربيعي (البغدادى - عمادالدين) - ١٢٧
 رو - ١٣٦
 زريق - هـ ٣١
 الزمخشري - ١٠
 الزندقة - ٣٦
 الزهاوى - ١٣٤
 سديد الدولة - ٤٠
 السلجوقية - ٩ ، ٤٣ ،
 السمعاني - ١٣
 السمرمي - ٣٣ ، ٣٥ ، هـ ٣٦ ، ٣٧ ،
 ٣٨ ، هـ ٣٩
 سنجر - هـ ٣٧
 شابلكو - ١٣٦
 الشافعي (عبدالرحمن) - ١١٩
 الشافعية - ١٠
 الشيبيني - هـ ١٣٤
 شرف الملك (المستوفى) - هـ ٢٠
 الشرف الرضى - ٢١ ، ٧٧ ، ٨٢ ، ١٠٣ ،
 ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ،
 ١٣٩
 الشعوبية - هـ ١١٥
 الشنفرى - ١١٣ ، ١١٤ ، هـ ١١٥ ،
 هـ ١١٦
 الشهرزورى - ٤٢

البارع - ١٠
 البارودي - ١٦ ، هـ ٥٣ ، ١٣٠-١٣٢
 الباطنية - ١٠ ، ٣٧
 البحتري - ٦٥ ، ٧٧ ، ٨٢ ، ١٠٨
 البرسقي - ٣٥
 البصير (محمد مهدي) - ٥ ، ٦
 (استاذي) ، هـ ١١٥
 بركيارق - ٨ ، ٢٩
 بلاشير - ٦
 البوصري - ١٣٧
 بنو أبي الجبر - ٩
 بنو مزيد - ٩
 البويهيون - ٨ ، ١٠
 پارو - ١٣٥
 پللا - ٦
 پوكوك - ١٣٥ ، ١٣٦
 تيسي (ميخائيل) - ١٣٤
 ثعل - ٨٧ ، ٨٨ ، ١٣١
 جابر بن حيان - هـ ٤٤
 جبرين - ٦٤
 جرير - هـ ٥٣
 جلال بن خضر (الحنفي) - ١٢١
 جمال الدين (محسن) - هـ ١٣٤
 جميل بثينة - ٧٧
 الجواهري - هـ ٥٣
 الجويني - ١٠
 جيوش بك - ٣٤ ، ٦٤
 حارث طه الراوي - هـ ١٤٠ ، هـ ١٣٠
 الحريري - ١٠ ، ٣٢ ، ٤٢ ، ٤٣
 الحطيفة - هـ ٣٣
 الحظيري - ١٠ ، ١٤
 الحضرمي (محمد) - ١٢٠
 حلاوة (رمضان) ١٢٤
 الحلي - ينظر صفي الدين
 الحموي - ينظر ابن حجة
 الحنبلية - ١٠
 الحنفية - ١٠

الشيرازي (ابو اسحاق) - ١٠
الشيعة - ١٠ ، ٣٧ ، وينظر آل محمد

ص ٢٤

صرد - ١٠

صلاح الدين - ١٢٣ وينظر الصفدي
الصفدي - ١٤ ، ١٦ ، هـ ٣٩ ، ٤٢ ،

هـ ٨٧ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ،

١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٧ ،

١١٨ ، ١١٩-١٢٢ ، ١٢٣ ،

١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ،

صفى الدين - ١٢٧-١٢٨

صليوا (داود) - ١٣٢

الصنهاجي - ينظر ابو جمعة

الطبري (علي بن قاسم) - ١١٩

طغرلبك - ٨

طه حسين - ١٣٥

الظاهر - (غازي بن صلاح الدين) هـ ٣٧

العباس بن الاحنف - ٨٠ ، ٥٠

عبدالرحمن حياوي - ٧

عبدالرحمن صدقي - هـ ٥٣

عبدالرحيم بن عبدالرحمن - ١٢١

العجم - ١١١ -

عزيز أباظة - هـ ٥٣

عزالدين (بن حامد المستوفي) - ١٦ ،

٧٥

عسكر الشام - هـ ٣٥

عني (ابن الطغرائي) - ٣٢ ، هـ ٣٧

العرب - ١١١

العروضي (محمد بن منصور) - هـ ٣٩

العكبري (عبدالله) - ١١٧ ، ١٢٢

علي رضائي - ١٤

العماد - ١٤ ، ١٥ ، ٤٤ ، ٥٩ ، ١١٢ ،

١١٣ ، ١٣٧ -

عمر ابن أبي ربيعة - ٧٧

عمر بن الخطاب - هـ ١١٥

عنتره - هـ ٣٩

العيارون - ١٠

الغزالي - ١٠

الغزي - ١٠ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٣٩

الفتوة - ١٠

الفرزدق - هـ ٥٣

فاتيه - ١٣٥

فان درسلوت - هـ ١١٩ ، ١٢١ ،

١٢٨ ، ١٣٥

القائم - ٩

كارلايل - ١٣٦

كرنكو - ١٣٥

كعب (ابن زهير) - ١٢٧

الكفوي - ١٢١

كمال الدولة - ٢٨

كيخسرو قليج - ١٥

كنانة - ١١٢

اتكنعاني - هـ ١١٤

كلوستن - ١٣٦

لبيد - ١٠٨

الليثي - هـ ١٩ ، هـ ٣٩

مؤيد الملك - ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٣

المارستاني (عبدالله) - ٤٠

المتنبي - ٢١ ، ٦٥ ، ١٠٣ ، ١١٦ ،

١٢٧-١٢٨ ، ١٣٩

مجدد الملك - ١٥ ، ٢٩ ، ٥٩ ، ٦٠ ،

٦٢ ، ٦٣

محمد (السلجوقي) - ٨ ، ٣٣ ، ٣٩ -

محمد (ابن الطغرائي) - ٣٤ ، هـ ٣٧

محمد (ابن حفيد الطغرائي) هـ ٣٧

محمد عبدالغني حسن - هـ ٤٢

محمود أحمد (المدرس) - ١٢٣

محمود بن ملكشاه - ٨ ، ١٧ ، ٣٤ ،

٣٥ ، ٣٨ ، ١٣٨

محفوظ (حسين) - ١٢٥

مخلص الدين (ابن اخت الطغرائي) -

هـ ٣٧

المدني (جلال الدين) - ١٢١

المرصفي - هـ ٤٢

مهييار - ١٩٣٠	المسترشد - ٩
الناطقة - ٦٥	المستشرقون - ١٣٨
ناظم باشا - ١٣٢	المستظهر - ٩ ، ٣٢
النصر (أخو السميرمي) - ٣٥	مسكويه - ٥
نظام الملك - ٨ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ٢٩ ،	مسلم بن الوليد - هـ ٥٣
٥٦ ، ٥٧-٥٩ ، ٦٣	مسعود (السلجوقي) - ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥
(وتنظر ص ١٠ النظامية)	٤١ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ١٣٧
الوادياشي (أحمد) - ١٢٧	مظهر - ينظر اسماعيل مظهر
هارون - ١٣٤	المعري - ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ،
الهاشمي (أحمد) - ١٢٩	١١٠
هرث - ١٣٥	معين الملك - ١٤ ، ٢٢ ، ٢٩ ، ٥٤ -
ياقوت - ١٤ ، ٤٣	٥٧ ، ٦٣
يحيى (حفيد الطغرائي) هـ ٣٧	المقتدى - ٩
اليعمري (نورالدين ابن فرحون) ١٢٤ ،	الملك الاشرف - ١١٩
١٢٩ هـ	ملكشاه - ٨ ، ٢٩ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٦٤
يوسف خليف - هـ ١١٥	الميناي - ١٢٢

فهرس الامكنة

(مدن ، اقطار ، انهار)

ديار بكر - ه ٣٥	الاجر الفرد - ٧٧
الديار المصرية - ١١٨	اذربيجان - ٦٤ ، ٣٤
الروم - ١٢١	الاسكنسرية - ١٢٣ ، ١١٨
العذيب - ٧٧	أصبهان - ٨ ، ١٣ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٩ ،
العراق - ٦ ، ٣١ ، ٧٠	١٢٣ ، ٦٥ ، ٥٤ ، ٣٢
الغور - ٧٧	اضم - ٨٧
الزندروذ (نهر) - ٢١	بغداد - ٨ ، ٩ ، ٣٠ ، ٤٢ ، ٦٥ ،
الزوراء - ٦٥ ، ٧٠ ، ٨٥ ، ٩٥ ، ١٠٧	٧٠ ، ٩٦ ، ١٠٤ (وتنظر
١٢٥	الزوراء ومدينة السلام) ،
الفرات - ٥٧	١٣٣ ، ١٣٤
القاهرة - ٦ ، وتنظر الديار المصرية ،	البطائح - ٩
مصر	بلاد العجم - ٦
كلية الآداب (القاهرة) - ٦	باريس - ٦
كلية التربية - ٥	ثعل - ٨٧ ، ٨٨
مدينة السلام - ٣ ، ٩٥ ، ١١٣	جرباذقان - ١٤
مسجد (الطغرائي) - ه ٣٧	الجرعاء - ٧٧
مصر - ه ٣١ ، ١٣٢	الجزع - ٨٨
مكتبة النهضة - ٧	جزيرة العرب - ٧٦
مكة - ١٢١	جي - ١٩ ، ٢٠ ، ٢١
الموصل - ١٥ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ه ٣٧ ،	جيجان - ٥٧
١٣٧ ، ٦٤	الحجاز - ٧٧
نجد - ٧٧	الحلة - ٩ ، ٣٤
النيل - ٩	الحمي - ٧٧
وادي العقيق - ٧٧	دار الكتب المصرية - ٦
همدان - ٣٥	دار المعلمين العالية - ٥
	دمشق - ١٢٤

فهرس الكتاب

مقدمة	٥
كلمة في العصر	٨
حياة الطفرائي	١١ - ٤٦
مصادر الدراسة	١٣ - ١٨
مولده ونشأته	١٩ - ٢١
زواجه	٢١ - ٢٢
مع معين الملك	٢٢ - ٢٩
مع نظام الملك وغيره	٢٩ - ٣٠
طفرائي	٣٠
عام ٥٠٥	٣٠ - ٣٢
طفرائي	٣٢ - ٣٣
وزير في الموصل	٣٣ - ٣٥
قتله وأسبابه	٣٥ - ٤٠
آثاره	٤٠ - ٤٥
شعر الطفرائي	٤٦ - ٨٣
مقدمة	٤٨
رثاء زوجته (وأصالته)	٤٨ - ٥٤
المديح (وقيمته التاريخية)	٥٤ - ٦٥
الفخر (وأصالته)	٦٩ - ٧١
الشكوى (وأصالتها)	٦٩ - ٧١
التشاؤم (وفلسفته)	٧١ - ٧٤
نصائح	٧٤
الجانب الضاحك	٧٤ - ٧٦
الوصف	٧٦
الغزل (التقليدي)	٧٦ - ٨١
خاتمة	٨١ - ٨٣

لامية الطفراني	١٣٦- ٨٤
النص محققا	٩٤- ٨٤
التحليل والتعليل	١٠٢- ٩٥
اللامية عبر التاريخ	١٣٦-١٠٣
١٠٣ - محاولة رد أبياتها الى اصولها !	
١١٠ - في البلاغة واللفة	
١١١ - ليست لامية المعجم	
١١٥ - لماذا تناقلتها الالسن	
١١٧ - شروحها	
١٢٤ - معارضتها وتشطيرها ...	
١٣٥ - ترجمتها	
خاتمة	١٩٣-١٣٧
المصادر والفهارس	١٥٥-١٤٠
المصادر والمراجع	١٤١
فهرس الاعلام	١٤٩
فهرس الامكنة	١٥٣
فهرس الكتاب	١٥٤